قَطْفُ الوُرُودِ

فِي شَرْحِ

حَائِيَّةِ أَبِي بَكْرِ بنِ أَبِي دَاوُدَ

كتبه:

أبو خلاَّد رافع بن عبد الله بن محمد الشرعبي

قدم له:

فضيلة الشيخ: عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري حفظه الله

و

فضيلة الشيخ: عبد الرزاق بن صالح النهمي حفظه الله

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ-٢٠٢٣م

قطف الورود

في شرح

حائية أبي بكر بن أبي داود

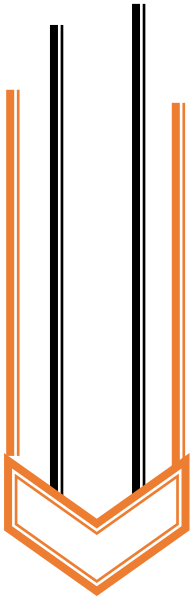

تقديم فضيلة الشيخ عبد الرزاق النهمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–أما بعد:

فقد طالعت شرح أخينا الفاضل المفيد أبي خلاَّد رافع بن عبد الله بن محمد الشرعبي –حفظه الله – لرسالة أبي بكر بن أبي داود (الحائية) التي أسماها « قطف الورود في شرح حائية أبي بكر بن أبي داود» فرأيته شرحها شرحًا مُفيدًا، ذكر فيه فوائد تشد لها الرحال، فجزاه الله خيرًا، ونفع به.

كتبه:

أبو بكر عبد الرزاق بن صالح بن علي النهمي

٢٠/شوال/ل عام ١٤٤٤ من هجرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

تقديم فضيلة الشيخ عبد الرحمن الشميري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- أما بعد:

فقد قرأت جُلَّ شرح أخينا الفاضل أبي خلاَّد رافع بن عبد الله الشرعبي- حفظه الله وبارك فيه-، فرأيته شرحًا جميلاً مُيسرًا، شرح فيه حائية ابن أبي داود بطريقة جيدة سهلة مفيدة، أبان فيها معتقد أهل السنة والجماعة، ودلل على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة وإجماع السلف، فجزاه الله خيرًا، ونفع به، وبكتابه هذا كثيرًا.

كتبه:

أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري في ١٤/شعبان ١٤٤٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإن نعم الله على العباد كثيرة لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [سورة إبراهيم:٣٤].

ومن هذه النعم التي أنعم الله بها على عباده، لهي نعمة طلب العلم، والتفقه في الدين، ومَن أنعم الله عليه بطلب العلم، ووفقه في الدين، فقد أراد الله به خيرًا، كما جاء في

حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِهْهُ فِي الدِّينِ**».

وقد أنعم الله عليَّ بنعمة طلب العلم، ووفقني سبحانه لهذه النعمة العظيمة، التي حرمها كثير من شباب المسلمين. ومن نعم الله عليَّ أن وفقني للسير على منهج السلف الصالح، في زمن كثر فيه الخلافات، والبدع والضلالات، فهذه نعمة حرمها كثير من الناس، فأسأل مِن الله أن يديم هذه النعمة عليَّ، وأن يتوفاني من المسلمين. فعندما يعتقد العبد من أول أمره، ونعومة أظفاره، باعتقاد أهل السنة والجماعة، ويسير بسيرهم لهي من أعظم النعم.

فعلى طالب العلم أن يهتم بعقيدته، عقيدة السلف الصالح، وأن ينظر في كتبهم، وفي مؤلفاتهم، فيزداد علمًا وبصيرةً.

ومن هذه الكتب والمؤلفات في العقيدة، التي لها العناية عند طلبة العلم، «حائية أبي بكر بن أبي داود» فهذه القصيدة تلقت القبول بين أوساط أهل السنة والجماعة، فتدرس في مراكزهم ودورهم، فأحببت أن أشرح هذه المنظومة، شرحًا يتبين فيه الطالب لعقيدة أهل السنة والجماعة، واعتنيت بها جيدًا في نظري، لعل الطالب أن يخرج بفائدةٍ في المعتقد، وأن يجد بغيته في هذه الرسالة.

وأسميتها (قطف الورود في شرح حائية أبي بكر بن أبي داود)

فأسأل من الله أن يُسهِّل عليَّ شرحها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

وكتب: أبو خلاد رافع بن عبد الله الشرعبي الطيار

٢٠/ صفر/ ١٤٤٣هـ/ في قرية الشعوبة/ المعافر

كلمةُ شُكْر

فمن باب قول النبي ﷺ :« **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** »، أحببت أن أشكر في مقدمة رسالتي هذه كل من أعانني في هذه الرسالة، بنصح، أو إرشاد، أو توجيه، وعلى رأسهم شيخي الفاضل الذي له الفضل، والمن بعد الله سبحانه في تربيتي، وتعليمي، وهو الشيخ أبو الحسن فهمي الحمادي-حفظه الله-فقد كنت إذا أشكل عليَّ شيء أذهب إليه، وأسأله، وأستنصحه، فأجد منه انشراحًا في الصدر، فجزاه الله خيرًا. والشيخ حفظه الله، هو الذي شجعني على كتابة هذه الرسالة، فأسأل من الله أن يبارك فيه، وفي أهله، وماله.

وكذلك أشكر غاية الشكر لعمي عبد السلام الخولاني، فقد شجعني، وأعانني كثيرا، وعمي -حفظه الله-جلس معي، ونصحني بكتابة رسالة، لعل فيها نفعًا للإسلام والمسلمين، فأجبته لذلك فكتبت هذه الرسالة.

ولا أنسى الشكر لوالدايَّ حفظهما الله وسدد أعمالهما لما يحبه ويرضاه، فقد كانا السبب في تعليمي السنة، وخاصة والدي، فقد كان على منهج السلف، وكان قد التقى بالشيخ مقبل رحمه الله، وكان يحبه حبًا شديدًا، فلما نزل الشيخ فهمي دعوة إلى قريتي داعيًا، شجعني والدي حفظه الله بالدراسة معه، والمكوث في حلقة العلم، بل شجعني على الرحلة في طلب العلم، فجزاه الله خيرًا.

تنبيـــــه

عدد أبيات هذه المنظومة على الصحيح، أنها ثلاثة وثلاثون بيتًا، كما نقل ذلك غير واحد من طلاب أبي بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ، منهم الإمام الآجري في كتابه الشريعة (٥/٢٩٢) فقال: وقد كان أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ، أنشدنا قصيدة قالها في السُّنة وهذا موضعها، وأنا أذكرها ليزداد بها أهل الحق بصيرة وقوة إن شاء الله: أملى علينا أبو بكر بن أبي داود في مسجد الرصافة، في يوم الجمعة، لخمس بقين من شعبان، سنة تسع وثلاثمائة، فقال تجاوز الله عنه...الخ، وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ الأبيات.

وكذلك ذكر أبو حفص ابن شاهين، وهو من طلابه ذكر أن عدد هذه الأبيات ثلاثة وثلاثون بيتًا.

قال الحافظ الذهبي: نْشَدَنَا أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الحَمِيْدِ، قَالَ: أَنْشَدَنَا الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ بنُ قُدَامَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ عَشْرَةَ وَسِتِّ مائَة، أَخْبَرَتْنَا فَاطِمَةُ بِنْتُ عَلِيٍّ الوِقَايَاتِي أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بنُ بَيَان، أَخْبَرَنَا الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ الطَّنَاجِيْرِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ بنُ شَاهِيْنَ، أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ بنُ أَبِي دَاوُدَ لِنَفْسِهِ:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَى === وَلاَ تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِــحُ

.... الخ وذكر الأبيات رَحِمَهُ اللَّهُ.[1]

فنستفيد أن عدد أبيات المنظومة ثلاثة وثلاثون بيتًا، وأكثر من يشرح هذه المنظومة يذكر ثلاثة أبيات زيادة وهي:

وَعَــائِشُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَـالُنا ..... مُـعَاوِيَة أَكْـرِمْ بِـهِ فَـهْوَ مُصْلَـحُ

---

[1] "السير" (١٣/٢٣٣).

وَأَنْصَـارُه وَالـهَـاجِرونَ دِيارَهم ..... بنصرهُمُ عَنْ ظُلْمَةِ النَّارِ زُحْـزِحُوا

وَمَنْ بعدَهُم وَالتابِعُون بِحُسنِ مَا .....حَذو حَذوهم قَولاً وَفِعلاً فَأفْلَحُوا

وقد قال السفاريني رحمه الله: هذه الثلاثة أبيات وأولها قوله :«وعائش أم المؤمنين »، وثانيها :« وأنصاره والهاجرون ديارهم »، وثالثها :« ومن بعدهم والتابعون .... » ليست من كلام الناظم الذي هو الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود، بل هي من كلام العلامة المحقق ابن البناء، من أئمة علمائنا.[1]

[1] " لوائح الأنوار "(٢/١٠٥).

نصُّ المنظومة

١. تمَّســـكْ بِحبلِ اللهِ واتبعِ الهُدى ولا تَـكُ بـدعيًّـا لعلـك تُفلحُ
٢. ودنْ بكتـابِ الله والســـننِ التي أتــت عنْ رســولِ الله تنج وتربحُ
٣. وقــلْ غيرُ مخلوقٍ كلام مليكنـا بـذلـك دان الأتقيـاء وأفصـــحُوا
٤. ولا تـكُ في القرآن بالوقف قـائلًا كمـا قـال أتبـاعٌ لجهمٍ وأســـجحوا
٥. ولا تقـلِ القرآن خلقًـا قَرَأْتَـهُ فـإن كـلام اللهِ باللـفظ يُوضَـــحُ
٦. وقــل يتجلى الله للخلقِ جهرةً كما البدر لا يخفى وربك أوضَـــحُ
٧. ولـيـس بمـولـدٍ ولـيـس بـوالـدٍ وليس لـه شِـــبْـهٌ تعـالى المُسَـــبَّحُ
٨. وقـد يُنكِر الجهمي هـذا وعنـدنا بمصـــداقِ ما قلنا حديثٌ مصـــرحُ
٩. رواه جـريـرٌ عـن مـقـالِ مُحـمـدٍ فقُل مِثل ما قد قال في ذاك تنْجحُ
١٠. وقـد ينكرُ الجهمي أيضـــاً يمينهُ وكِلتـا يـديـه بالفواضـــلِ تنْفحُ
١١. وقــل ينزلُ الجبـارُ في كـلِّ ليلـةٍ بلا كيفَ جـلَّ الواحـدُ المُتمَـدحُ
١٢. إلى طبقِ الـدنيـا يمُنُّ بفضـــلـهِ فتفرجُ أبواب الســـمـاءِ وتُفتحُ
١٣. يقولُ أَلا مُســـتغفرٌ يَلقَ غـافرًا ومُســـتمنحٌ خيرًا ورِزْقًـا فـأمنحُ
١٤. روى ذاك قومٌ لا يردُّ حـديثُهم ألا خـابَ قومٌ كـذبوهم وقُبِّحوا
١٥. وقـل: إنَّ خير النَّاسِ بعـد محمَّـدٍ وزيراهُ قُدْمًـا ثم عثمـانُ الارجَحُ
١٦. ورابـعـهُـمْ خـيرُ الـبريَّـة بـعـدهُـم عليٌّ حليفُ الخيرِ بالخيرِ مُنْجِحُ
١٧. وإنَّـهم لـلـرَّهـطُ لا ريـبَ فـيـهـمُ على نُجبِ الفردوسِ بالنُّور تَســـرحُ
١٨. ســعيدٌ وســعدٌ وابن عوفٍ وطلحةُ وعـامـرُ فـهـرٍ والـزبـيرُ المُـمَـدَّح
١٩. وقل خير قولٍ في الصـــحابة كلِّهم ولا تـك طـعَّـانًا تـعـيـبُ وتجـرحُ
٢٠. فقد نطقَ الوحيُ المبين بفضـــلِهم وفي الفتح آيٌ للصَّـــحـابـةِ تمدحُ
٢١. وبالقـدرِ المقـدورِ أيقِـن فـإنَّـه دعـامـةُ عقدِ الدِّين ، والدِّينُ أفيحُ

٢٢. ولا تُنكِرَنْ جهلاً نكيراً ومُنكراً ولا الحوْضَ والمِيزانَ إنك تُنصحُ
٢٣. وقُلْ يُخرجُ اللهُ الْعظيمُ بِفَضلِهِ مِنَ النارِ أجْساداً مِنَ الفَحْمِ تُطرحُ
٢٤. عَلى النهرِ في الفِرْدوسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ
٢٥. وإن رَسُولَ اللهِ للخَلْقِ شَافِعٌ وقُلْ في عَذابِ القَبْرِ حَقّ مؤضحُ
٢٦. ولاَ تُكْفِرنْ أَهلَ الصلاةِ وإنْ عَصَوْا فَكُلهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصفَحُ
٢٧. ولَا تَعتقِدْ رأيَ الْخَوَارِجِ إنهُ مقَالٌ لَمنْ يَهواهُ يُردي ويَفْضَحُ
٢٨. ولا تكُ مُرْجيًّا لَعُوبا بدينهِ ألاَ إنمَا المُرْجِي بِالدينِ يَمْزحُ
٢٩. وقلْ : إنمَا الإيمانُ : قولٌ ونيةٌ وفعلٌ عَلَى قولِ النبِيّ مُصَرحُ
٣٠. ويَنْقُصُ طوراً بالمَعَاصِي وتَارةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وفي الوَزْنِ يَرْجَحُ
٣١. ودعْ عَنْكَ آراءَ الرجالِ وقَوْلَهُمْ فقولُ رسولِ اللهِ أزكَى وأَشْرحُ
٣٢. ولا تَكُ مِن قوْمٍ تلهوْا بدينِهِمْ فَتَطْعَنَ في أهلِ الحَديثِ وتقدحُ
٣٣. إذَا مَا اعْتقدْت الدهْرَ يا صَاحِ هذه فأَنْت عَلَى خَيْرٍ تبيتُ وتُصْبِحُ

ترجمة الناظم

اسمه: هو أبو بكر، عبد الله بن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، السجستاني الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، شَيْخُ بَغْدَادَ. (١)

مولده: ولد بسجستان، في سنة ثلاثين ومائتين، وسافر به أبوه وهو صبي، فكان يقول: رأيت جنازة إسحاق بن راهويه، وكانت في سنة ثمان وثلاثين ومائتين في شعبان. (٢)

شيوخه: ذكر الذهبي في «السير»: أن أول شيخ سمع منه، هو محمد بن أسلم الطوسي، وسر أبوه بذلك؛ لجلالة محمد بن أسلم، وقال له: أول ما كتبتَ كتبت عن رجل صالح.

ثم قال الذهبي رحمه الله : رَوَى عَنْ: أَبِيْهِ، وَعَمِّهِ، وَعِيْسَى بنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ، وَأَحْمَدَ بنِ صَالِحٍ، وَمُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى الزِّمَّانِيِّ، وَأَبِي الطَّاهِرِ بنِ السَّرْحِ، وَعَلِيِّ بنِ خَشْرَمٍ، وَمُحَمَّدِ بنِ بَشَّارٍ، وَنَصْرِ بنِ عَلِيٍّ، وَعَمْرِو بنِ عُثْمَانَ الحِمْصِيِّ، وَكَثِيْرِ بنِ عُبَيْدٍ، وَمُوْسَى بنِ عَامِرٍ المُرِّيِّ، وَمَحْمُوْدِ بنِ خَالِدٍ، وَمُحَمَّدِ بنِ سَلَمَةَ المُرَادِيِّ، وَهَارُوْنَ بنِ إِسْحَاقَ، وَمُحَمَّدِ بنِ مَعْمَرٍ البَحْرَانِيِّ، وَأَبِي سَعِيْدٍ الأَشَجِّ، وَهَارُوْنَ بنِ سَعِيْدٍ الأَيْلِيِّ، وَمُحَمَّدِ بنِ مُصَفَّى، وَإِسْحَاقَ الكَوْسَجِ، وَالحَسَنِ بنِ أَحْمَدَ بنِ أَبِي شُعَيْبٍ، وَعَمْرِو بنِ عَلِيٍّ الفَلاَّسِ، وَهِشَامِ بنِ خَالِدٍ الدِّمَشْقِيِّ، وَالحَسَنِ بنِ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيِّ، وَزِيَادِ بنِ أَيُّوْبَ، وَالحَسَنِ بنِ عَرَفَةَ، وَمُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى الذُّهْلِيِّ، وَإِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ شَاذَانَ، وَيُوْسُفَ بنِ مُوْسَى القَطَّانِ، وعبَّادِ بنِ يَعْقُوْبَ

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (١٣/٢٢١).

(٢) "سير أعلام النبلاء" (١٣/٢٢٢).

الرَّوَاجِنِي، وخَلْقٍ كَثِيْرٍ بِخُرَاسَانَ وَالحِجَازِ وَالعِرَاقِ، وَمِصْرَ وَالشَّامِ، وَأَصْبَهَانَ وَفَارِسَ.[١]

همته في طلب العلم: ذكر الذهبي: أنه كان يقول: دَخَلْتُ الكُوْفَةَ، وَمَعِيَ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ، فَأَخَذْتُ بِهِ ثَلاَثِيْنَ مُدَّ بَاقِلاَّ [٢]، فَكُنْتُ آكُلُ مِنْهُ، وَأَكْتُبُ عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الأَشَجِّ، فَمَا فَرَغَ البَاقِلاَّ حَتَّى كَتَبْتُ عَنْهُ ثَلاَثِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ، مَا بَيْنَ مَقْطُوعٍ وَمُرْسَلٍ [٣]

فهذا دليل على همته في طلب العلم، وحرصه على حفظ الحديث، وبهذه الهمة العالية كان من بحور العلم، حتى أن بعضهم فضله على أبيه سليمان بن الأشعث.

وبهذه الهمة العالية، ألف المؤلفات، وصنف التصانيف، صنف "السنن" و"المصاحف" و"شريعة القارئ" و"الناسخ والمنسوخ" و"البعث" و"المسند" و "التفسير" و"القراءات". [٤]

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ له حفظ عجيب، ولذلك سُمي حافظًا. ومما يدل على حفظه وإتقانه، أنه خرج إلى سجستان، فاجتمع إليه أصحاب الحديث، وسألوه أن يحدثهم، فأبى، وقال: ليس معي كتاب، فقالوا له: ابن أبي داود وكتاب، قال أبو بكر: فأثاروني، فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي. [٥]

فلله درُّك يا أبا بكر ودَرُّ أبيك.

---

[١] "سير أعلام النبلاء" (١٣/٢٢٢).

[٢] والباقلاء: باللهجة العراقية: الفول.

[٣] "سير أعلام النبلاء" (١٣/٢٢٣).

[٤] "سير أعلام النبلاء" (١٣/٢٢٣) "وتاريخ دمشق" (٢٩/٨٣).

[٥] "تاريخ دمشق" (٢٩/٨٣).

ومما يدلُّ على حفظه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثت بأصبهان من حفظي ستة وثلاثين ألف حديث، الزموني الوهم منها في سبعة أحاديث، فلما انصرفت إلى العراق، وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدثتهم به. (١)

ويقول تلميذه أبو حفص ابن شاهين: مبيناً قوة حفظه، وسعة علمه، وكثرة اطلاعه، أَملَى عَلَيْنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ سِنِيْنَ، وَمَا رَأَيْتُ بِيَدِهِ كِتَاباً، إِنَّمَا كَانَ يُمْلِي حِفْظاً، فَكَانَ يَقْعُدُ عَلَى المِنْبَرِ بَعْدَ مَا عَمِيَ، وَيَقْعُدُ دُوْنَهُ بِدَرَجَةٍ ابْنُهُ؛ أَبُو مَعْمَرٍ -بِيَدِهِ كِتَابٌ -فَيَقُوْلُ لَهُ: حَدِيْثُ كَذَا، فَيَسْرُدُهُ مِنْ حِفْظِهِ، حَتَّى يَأْتِي عَلَى المَجْلِسِ.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ الخَلاَّلُ: كَانَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ إِمَامَ أَهْلِ العِرَاقِ، وَمَنْ نَصَبَ لَهُ السُّلْطَانَ المِنْبَر، وَقَدْ كَانَ فِي وَقتِهِ بِالعِرَاقِ مَشَايِخُ أَسْنَدُ مِنْهُ، وَلَمْ يَبْلُغُوا فِي الآلَةِ وَالإِتقَانِ مَا بَلَغَ هُوَ. (٢)

فكل هذا يدل على قوة حفظه، وكذلك ينبغي على طالب العلم أن يكرس جهوده في الحفظ، وما ارتفع من ارتفع، وفضل على غيره، إلا بإخلاص العمل لله والحفظ. فهذا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: « إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [سورة البقرة:١٥٩]. إِلَى قَوْلِهِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٦٠]. إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ

---

(١) " تاريخ بغداد " (٩/٤٦٦).

(٢) " سير أعلام النبلاء " (١٣/٢٢٥).

يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ. (١)

تلاميذه: قال الذهبي رحمه الله: حَدَّثَ عَنْهُ: خَلْقٌ كَثِيْرٌ، مِنْهُم: ابْنُ حِبَّانَ، وَأَبُو أَحْمَدَ الحَاكِمُ، وَأَبُو عُمَرَ بنُ حَيَّوَيْه، وَابْنُ المُظَفَّرِ، وَأَبُو حَفْصٍ بنُ شَاهِيْنٍ، وَأَبُو الحَسَنِ الدارقطني، وَعِيْسَى بنُ عَلِيٍّ الوَزِيْرُ، وَابْنُ المُقْرِئ، وَأَبُو القَاسِمِ بنُ حَبَابَةَ، وَأَبُو طَاهِرٍ المُخَلِّصُ، وَمُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ زُنْبُوْر الوَرَّاقُ، وَأَبُو مُسْلِمٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الكَاتِبُ، وَآخَرُوْنَ. (٢)

ثناء العلماء عليه: قال الذهبي رحمه الله: وكان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضله على أبيه.

وقال أيضا: وَالرَّجُلُ فَمِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الإِسْلاَمِ، وَمِنْ أَوْثَقِ الحُفَّاظِ رحمه الله. (٣)

قال الذهبي رحمه الله: قال: الحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ الخَلاَّلُ: كَانَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ إِمَامَ أَهْلِ العِرَاقِ، وَمَنْ نَصَبَ لَهُ السُّلْطَانَ المِنْبَر، وَقَدْ كَانَ فِي وَقتِهِ بِالعِرَاقِ مَشَايِخُ أَسْنَدُ مِنْهُ، وَلَمْ يَبْلُغُوا فِي الآلَةِ وَالإِتقَانِ مَا بَلَغَ هو. (٤)

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: وكان فقيهًا علمًا حافظًا.

---

(١) رواه البخاري (١١٨).

(٢) " السير " (١٣/٢٢٣).

(٣) "سير أعلام النبلاء " (١٣/٢٣٣).

(٤) " سير أعلام النبلاء" (١٣/٢٢٤)

وقال ابن خلكان رَحِمَهُ اللَّهُ: بعدما ذكر سليمان بن الأشعث: وكان ولده أبو بكر، عبد الله بن أبي داود سليمان، من أكابر الحفاظ ببغداد، عالماً متفقاً عليه، إمام ابن إمام.[١]

وإذا نظرت في كلام العلماء، في ثنائهم عليه، وتوثيقهم له، يدلك دلالة واضحة، على جلالة هذا الإمام. ومن أراد مزيد العلم فليرجع إلى "ميزان الاعتدال " و"السير" للذهبي و"تاريخ بغداد".

وقد صنف الإمام أبو بكر رَحِمَهُ اللَّهُ كتبا كثيرة منها:

"السنن" و"المصاحف" و"وشريعة القارئ" و"الناسخ والمنسوخ " و"البعث " و"المسند" و"التفسير " و"القراءات".[٢]

وفاته: وبعد هذه الحياة المليئة بالعلم، والحفظ، والتصنيف أجاب داعي ربه، في يوم الأحد لاثنتي عشرة بقيت من ذي الحجة، من سنة ست عشرة وثلاثمائة (٣١٦هـ)

وهو ابن سبع وثمانين سنة، وقد مضى له منها ثلاثة أشهر، ودفن في مقبرة باب البستان، وصُلي عليه في أربعة مواضع، بل ذكر أنه صُلي عليه ثمانين مرة[٣]

أولاده: خَلَّفَ أبو بكر ثمانية أولاد: أبو داود محمد، وأبو معمر عبيد الله، وأبو أحمد عبد الأعلى، وخمس بنات أكبرهن فاطمة، وحدثت.[٤]

---

(٢) "وفيات الأعيان " (٢/٤٠٥)

(٢) " تاريخ بغداد " (٩/٤٧١) " والسير للذهبي " (١٣/٢٢٣)

(٣) " تاريخ بغداد " (٩/٤٧٥)

(٤) " تاريخ بغداد " (٩/٤٧٥)

الحث على التمسك بالكتاب والسنة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« تمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبع الهُدَى... ... ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ »

قوله :« تمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ »: أصل التمسك: الأخذ، يقولون: مسك بالشيء أي: أخذ به وتعلق واعتصم.

والحبل: هو الرباط، والمراد به هنا: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فبدأ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: بوصية عظيمة، وهي التمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]

وقد مدح الله من اعتصم بالكتاب والسنة وتمسك بهما، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٠].

وهذه الوصية التي أوصى بها الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ، هي وصية النبي ﷺ لأمته، قال أبوداود رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ قَالَا أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [سورة التوبة:٩٢]. فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ فَقَالَ الْعِرْبَاضُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ

اللَّهِ: كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**».[١]

وأخبر النبي ﷺ أن من تمسك بحبل الله، والهدى الذي جاء به، فلا ضلال عليه، ولا انحراف، كما جاء عن أبي شريح الخزاعي، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أبشروا، أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا**».[٢]

فالتمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، حياة، ونجاة، كما قال الزُّهْرِيِّ رحمه الله: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: «الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ».[٣] فالواجب علينا جميعًا، أن نتمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ وأن نعض عليها بالنواجذ، وخاصة ونحن في زمن الفتن، والمحن، زمن كثرت فيه الشهوات والشبهات، وكثرت فيه الطوائف المنحرفة، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) صححه الألباني وحسنه الوادعي في " الصحيح المسند " (١/٤٤٥)

(٢) "مصنف ابن أبي شيبة" (٦/١٢٥) وعبد بن حميد في" المنتخب " (١/١٧٥) وهو في "الصحيح المسند " للوادعي (١/٩٤)

(٣) "سنن الدارمي" (١/٢٣٠)

ولعلَّ هذا الزمن الذي أخبر النبي ﷺ أن الصابر فيهم، والمتمسك منهم، على دينه، كالقابض على الجمر.

ومن تمسك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، مع هذه المحن والفتن، فله أجر عظيم عند ربه ﷻ، كما جاء عن عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ، أَخِي بَنِي مَازِنِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَوَمِنْهُمْ؟ قَالَ: « **بَلْ مِنْكُمْ**»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَوَمِنْهُمْ؟ قَالَ: « **لَا، بَلْ مِنْكُمْ** » ثَلَاثُ مَرَّاتٍ أَوْ أَرْبَعًا. (١)

قوله:« واتَّبع الهُدَى»

الاتباع: لغة مصدر اتبع المأخوذ من مادة " تبع " وتدل هذه المادة على التلو والقفو، يقال: تبعت القوم تبعًا وتباعةً إذا مشيت خلفهم. (٢)

والاتباع في الأصل: اقتفاء أثر الماشي، ثم استعمل في العمل بمثل عمل الغير، كما في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [سورة التوبة:١٠٠]. ثم استعمل في امتثال الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع، فهو الائتمار. (٣)

وتعريف الاتباع اصطلاحًا: كما قال الإمام أحمد رحمه الله: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ، وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين مخير. (٤)

---

(١) " المعجم الكبير " (١١٧/١٧)

(٢) " لسان العرب " (٢٧/٨)

(٣) "تفسير التحرير والتنوير" (٣١٢/١٢)

(٤) "أضواء البيان" (٣٥٢/٧)

قوله: « الهُدَى »: الهدى **لغة:** ضد الضلال، وهو الرشاد والدلالة، ومنها قولهم: هديته الطريق هداية أي: تقدمته لأرشده.

اصطلاحا: قال الراغب: الهداية دلالة بلطف.

فإن قيل: كيف جعلت الهداية دلالة بلطف، وقد قال الله: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [سورة الصافات:٢٣].

قيل: استعمال اللفظ في ذلك على التهكم، مبالغة في المعنى، كما في قوله سبحانه: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الانشقاق:٢٤].

قال المناوي: الهداية دلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب وقيل سلوك طريق يوصل إلى المطلوب. (١)

قوله: « واتَّبع الهُدَى »: المراد بالهدى في هذه المنظومة هي السنة، بدليل أنه حث العبد على التمسك بحبل الله الذي هو القرآن، ثم حث على اتباع الهدى الذي هو السُّنة.

ومعناه: أي: الزم طريق الهدى والرشاد، الذي بينه النبي ﷺ، فهو أفضل الهدي وأكمله، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ، قال: «**وخير الهدى هدى محمد**ﷺ ». (٢)

---

(١) "التوقيف" (١/ ٧٣٩) و "التعريفات " (١/ ٣١٩)

(٢) رواه مسلم (٨٦٧)

فائدة: تطلق الهدى في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، على أمرين:

الأول: التوفيق والإلهام، وهذه الهداية خاصة بالله سبحانه، لا يختص بها أحد غيره، لقوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص:٥٦]. وقوله: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [سورة البقرة:٢٧٢]، وقوله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٨]

فهذه الآيات تدل على هداية التوفيق، وأنها خاصة بالله سبحانه.

وكان النبي ﷺ، يسأل ربه الهدى فقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، كان يقول: «**اللهمَّ إني أسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى**». (١)

وعن أَبي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلاَتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ: «**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**». (٢)

بل كان النبي ﷺ، يعلم أصحابه أن يسألوا من ربهم هذه الهداية، فقد قال: لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه « **قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ،**

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢١)

(٢) رواه مسلم (٧٧٠)

وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ». [١]

بل علم الحسن بن علي رضي الله عنه هذا الأمر العظيم، وهو طلب الهداية من الله، فقد جاء عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوَتْرِ **«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»**. [٢]

الثاني: دلالة وإرشاد وبيان قال الله ﷻ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة فصلت:١٧] وقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [سورة البلد:١٠]. أي: طريق الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي. [٣]

وهذه الهداية تكون عامة للأنبياء، كما قال الله في حق النبي ﷺ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى:٥٢] وفي الصالحين، وفي العلماء، والدعاة إلى الله على بصيرة. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة:٢٤].

---

[١] رواه مسلم (٢٧٢٥)

[٢] رواه أحمد (٣/١٧١٨) وهو في "الصحيح المسند" (١/ ١٥٠)

[٣] تفسير السعدي

قوله: « ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ »

البدعة **لغة:** هي ما عمل على غير مثال سابق.

اصطلاحا: طَرِيقَةٍ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٍ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ سُبْحَانَه.(١)

وأسهل من هذا التعريف ما عرفه الشيخ يحيى الحجوري-حفظه الله-فقال: البدعة: هي ما أحدث بعد موت النبي ﷺ بقصد التعبد، وليس عليها دليل من الكتاب ولا من السنة.(٢)

قوله: «لَعَلَّك تُفْلِحُ» الفلاح: هي نتيجة المتمسك بالكتاب والسنة، المجتنب للبدع.

والفلاح: هو كلمة جامعة لخيري الدنيا والآخرة، وقد قيل: ليست هناك كلمة في اللغة: أجمع للخيرات من كلمة الفلاح.

والفلاح: هو الفوز بكل مرغوب، والنجاة من كل مرهوب.

قال صاحب "القاموس المحيط"(١/٢٣٤): الفلاح هو الفوز والنجاة والبقاء في الخير. ولا يكون الفلاح إلا بالتمسك بكتاب الله، وسنة رسولهﷺ وذم البدع واجتنابها.

فائدة: أهل السنة والجماعة، الذين يُمسِّكون بالكتاب، ويحافظون على سنة رسول اللهﷺ، ويعملون بها، على فهم سلف هذه الأمة، هم المفلحون وأهل البدع والضلال- والله – لا يفلحون.

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٥٠)

(٢) "المبادئ المفيدة " (٢٥)

وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: تركنا أصحاب الرأي، وكان عندهم حديث كثير، فلم نكتب عنهم، لأنهم معاندون، لا يفلح منهم أحد. (١)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل.

وقال أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري: لا تصلِ خلف من قال القرآن مخلوق، ولا يفلح من استحلى شيئا من الكلام. ومعنى: استحلى أي: عده حلوا.

ولما تناظر الشافعي وبشر المريسي، فلما خرج بشر، قال الشافعي: لا يفلح. (٢)

قوله: «لَعَلَّك تُفْلِحُ »: لعلك رجاء لأن عقيدة أهل السنة والجماعة، لا تجزم لأحد بالفلاح، إلا من شهد له الله ورسوله ﷺ، ويقولون: نرجوا للمحسن، ونخاف على المسيء.

خلاصة البيت:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يحث العبدَ على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويذم البدع وأهلَها، وأنَّ من ترك السُّنة، وذمها فهو مبتدع، ومن تمسك بالكتاب والسُّنة على فهم سلف الأمة، وترك البدعة، فقد أفلح.

(١) "موسوعة الإمام أحمد"(٤/ ٣١٠)

(٢) "سير أعلام النبلاء " (١٠/ ٢٧)

الحث على التدين بالكتاب والسنة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي... ... أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ »

قوله :« وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ »: فعل أمر من الفعل دان يدين، والمعنى: اجعل دينك كتاب الله وسنة رسولهﷺ، ولا تأخذ دينك إلا من هذين المصدرين: كتاب الله وسنة رسولهﷺ على فهم سلف الأمة.

قوله: « والسُّنَنِ »: السنن: جمع سنة وهي الطريقة في اللغة.

قال الجرجاني: السنة في اللغة الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية.(١)

وشرعًا: ما صدر عن رسول اللهﷺ من قول أو فعل أو تقرير.(٢)

قوله :« والسُّنَنِ التِي... ... أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ »: هذا فيه إشارة إلى أنَّ الإنسان يتدين بكتاب الله، والسنن أي: الأحاديث، والمرويات الثابتة، الصحيحة عن النبي ﷺ، **وفيه**: إشارة إلى أنَّ هناك من الأحاديث ماهي مكذوبة على النبيﷺ، فلا يصح الاحتجاج بها ولا العمل بها.

قوله:« تَنْجُ »: كذا في العلو، وفي غيره: « تنجو » وهو خطأ، إذ الفعل مجزوم، قال صاحب القطر: فإن سقطت الفاء بعد الطلب وقصد الجزاء، جزم، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾ [سورة الأنعام:١٥١]. اهـ. وعلامة جزمه حذف آخره وهو الواو.

---

(١) "التعريفات" (١٦١)

(٢) أصول الفقه للمؤلف عبد الوهاب خلاف (١/٣٦)

قوله:« تَنْجُ » أي: تتحصل على النجاة في الدنيا من الشبهات المضلة، وتنجو في الآخرة من العذاب الأليم، وتظفر بالفوز في جنات النعيم.

قوله :« وَتَرْبَحُ » هذا فيه زيادة على النجاة، فالنجاة رأس المال وفوقه أرباح متعددة، بحسب قوة اعتصام المرء بالكتاب والسنة، أرباح دنيوية وأرباح أخروية.[١]

فائدة: في هذا البيت إشارة على الرد على طائفة زائغة عن الطريق المستقيم، وهذه الطائفة قد كثرت وانتشرت في زماننا هذا، وهذه الطائفة تسمي نفسها بالقرآنية.

القرآنيون:

هم أصحاب ضلال وانحراف، وهم الذين يقولون: ما كان في كتاب الله أخذناه، ويردون ما جاء في السنة، وكذبوا – والله – فلو كانوا يأخذون بكل ما في القرآن لأخذوا بالسنة؛ فكم من آية يأمر الله سبحانه فيها باتباع الرسولﷺ، وكم من آية قرن الله سبحانه القرآن مع السنة قال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:٣٤].

قال ابن كثيررحمه الله: أي: واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد، واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس.[٢]

---

[١] التحفة السنية على القصيدة الحائية.

[٢] "تفسير ابن كثير" عند الآية.

وقال الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر:٧].

فالقرآن والسنة متلازمان، فلا يكون العبد آخذًا بالقرآن حتى يأخذ بالسنة، ومن ترك السنة فقد ترك القرآن، ولا يعجب العبد بظهور مثل هذه الطوائف المنحرفة، فقد أخبر النبي ﷺ بظهورهم، فقد أخرج أبو داود بسند صحيح عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «**لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لاَ نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ**».[(١)]

الرد على الطائفة القرآنية

قولوا: بربكم يامن تزعمون أنكم تأخذون بالقرآن فقط! من أين تعلمتم الصلاة؟ وما فيها من الأذكار؟ إن كنتم تصلون. من أين تعلمتم الزكاة، وما يجب فيها؟ إن كنتم تزكون. من أين تعلمتم شرائع الإسلام؟ إن كنتم صادقين! أليس كل هذه الأمور من السنة؟

إذن: فالسُّنة مفسرةٌ للقرآن.

فالحذر-أيها الناس- من هذه الطائفة الضالة المنحرفة عن الطريق المستقيم.

(١) صححه الألباني والوادعي في الصحيح المسند (١/ ٩٠)

كلام الله غير مخلوق

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقُلْ غَيْرُ مَخْلِوقٍ كَلامُ مَليكِنا... ... بِذَلكَ دَانَ الأتْقِياءُ وأَفْصحُوا»

قوله: «وَقُلْ» أي: وقل: أنت يأيها المتمسك بكتاب الله، وسنة رسولهﷺ، على فهم السلف الصالح، «وَقُلْ»: معتقدًا بهذه العقيدة الصحيحة، ولا تكُ في شك منها.

قال بعض العلماء: القول إذا أطلق فإنه يشمل قول القلب وقول اللسان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٣٦] أي: قولوا: ذلك بقلوبكم إيمانًا واعتقادًا، وبألسنتكم نطقًا وتلفظًا.(١)

قوله:« غَيْرُ مَخْلِوقٍ كَلامُ مَليكِنا »

فيه: إثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ويدل على هذا آيات كثيرة في كتاب الله.

منها: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [سورة النساء:١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة التوبة:٦].

وغيرها من الآيات التي تدل على أنَّ القرآن كلام الله.

وفيه: إثبات أن الكلام صفة من صفات الله. فالقرآن كلام الله، وإضافته إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، خلافًا لمن ذهب إلى أن الكلام من باب إضافة المخلوق إلى الخالق.

---

(١) التحفة السنية على الحائية.

فائدة: ضابط إضافة الصفة إلى الموصوف:

هو ما كان المضاف وصفًا لا يقوم إلا بموصوف، أو لا يقوم إلا بغيره.

مثاله: «سمع الله – كلام الله – بصر الله –» فالسمع، والبصر، والكلام، كلٌ من هذه الصفات لا تقوم بنفسها، إنما تقوم بغيرها، والله أعلم.

وضابط إضافة المخلوق إلى الخالق:

هو إذا كان المضاف عينًا قائمًا بنفسه. **مثاله:** «بيت الله – ناقة الله – عبد الله ...» فالبيت والناقة والعبد كل هذه تقوم بنفسها، وتسمى هذه الإضافة إضافة تشريف.

قال اللالكائي رحمه الله: المضاف إلى الله نوعان: أعيان قائمة بالله بذاتها، ومعانٍ ليست أعياناً، وإضافة الأعيان القائمة بذاتها إلى الله إضافة تشريف، مثل عيسى، عينه قائمة بذاته، وإذا أضيفت إلى الله جل وعلا أضيفت للتشريف، فتقول: عيسى روح الله، والكعبة بيت الله وإضافته لله إضافة تشريف، وناقة الله إضافة تشريف، **أما المعاني** التي ليست أعياناً قائمة بذاتها فإضافتها إلى الله إضافة صفة إلى الموصوف، تقول: كلام الله، يعني: صفة من صفات الله، أي: أن الله تكلم، (رحمة الله، عزة الله، قدرة الله، كرم الله)، هذا معنى من المعاني، فالمعنى الذي يضاف إلى الله إضافته إلى الله إضافة صفة إلى الموصوف.[1]

وفيه: إثبات اسم المليك لله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[سورة القمر: ٥٥].[2]

---

[1] شرح أصول الاعتقاد (١١/١٥)

[2] المبادئ المفيدة(٣٩١)

وفيه: إثبات صفة الملك لله سبحانه، فالملك ملك الله سبحانه، وبيده الملك، يعطي الملك من يشاء، ويصرفه عمن يشاء، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [سورة آل عمران:٢٦]. فالله مالك الملك، وإذا ملك المخلوق شيئًا إنما هو بتمليك الله، فالله مالك الدنيا والآخرة قال سبحانه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة:٤].

قوله:« بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ » أي: جعلوه دينًا يدينون الله به، بأنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

ونحن نشهد الله ﷻ أن هذه العقيدة هي دين ندين الله بها، ونسأله الثبات عليها.

قوله: « الأَتْقِيَاءُ » جمع تقي: والتقي الذي يفعل ما أمر الله به، وينتهي عما نهاه الله عنه، فالأتقياء يدينون الله ﷻ بذلك، بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وإذا أردت معرفة هذا فارجع إلى كتاب اللالكائي في " شرح الاعتقاد " ذكر أكثر من خمسمائة تقي يقولون: إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال بخلق القرآن فهو كافر. بل بذلك يدينون الله، وفي هذا يقول ابن القيم في "نونيته الشافية الكافية":

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني[1]

وأقول: لله در أبي بكر بن أبي داود؛ حيث وصف أهل السنة والجماعة بأنهم أتقياء.

---

[1] "نونية ابن القيم"(١/٣٣)

وأفضل تعريف للتقوى: ما عرفه طلق بن حبيب رحمه الله: « أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله.

قال الذهبي رحمه الله بعد هذا التعريف: قُلْتُ: أَبْدَعَ وَأَوْجَزَ، فَلاَ تَقْوَى إِلاَّ بِعَمَلٍ، وَلاَ عَمَلَ إِلاَّ بِتَرَوٍّ مِنَ العِلْمِ وَالاتِّبَاعِ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالإِخْلاَصِ للهِ، لاَ لِيُقَالَ: فُلاَنٌ تَارِكٌ لِلْمَعَاصِي بِنُوْرِ الفِقْهِ، إِذِ المَعَاصِي يَفْتَقِرُ اجْتِنَابُهَا إِلَى مَعْرِفَتِهَا، وَيَكُوْنُ التَّرْكُ خَوْفاً مِنَ اللهِ، لاَ لِيُمْدَحَ بِتَرْكِهَا، فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى هَذِهِ الوَصِيَّةِ، فَقَدْ فَازَ.(١)

وقال ابن القيم رحمه الله: هذا أحسن ما قيل في حد التقوى، فإنَّ كل عمل لابد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة، حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة، ولا الهوى، ولا طلب المحمدة، والجاه، وغير ذلك، بل لابد أن يكون مبدؤه محض الإيمان، وغايته ثواب الله، وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب.(٢)

والتقوى: هي الوقاية أن يجعل الإنسان بينه وبين ما يخشاه ويكره وقاية تقيه منه.

فأهل السنة يجعلون بينهم وبين سخط الله، وغضبه، وقاية، وأعظم هذه الوقاية أنهم اعتقدوا هذا المعتقد الصحيح.

قوله:«وأَفْصِحُوا»أي: أعلنوه إعلانًا بين الناس، وأظهروا هذا المعتقد؛ بأنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن الإفصاح به علموه تلاميذهم، وأبناءهم، بل وألقوا ذلك في خطبهم ومحاضراتهم، بل وكتبوا الكتب، وألفوا الرسائل في هذا، فما تجد كتابًا مؤلفًا في

---

(١) السير للذهبي (٤/٦٠١)

(٢) الرسالة التبوكية(١/١٣)

الاعتقاد إلا وفيه التصريح بذلك، بل أبو محمد موفق الدين ابن قدامة له رسالة في القرآن وكلام الله، وكذلك شيخ الإسلام له كتاب سماه " تحقيق القول في مسألة عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله ".

كل هذا من الإفصاح بهذا المعتقد الصحيح، فجزى الله العلماء ودعاة أهل السنة خيرًا.

خلاصة البيت:

أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، اعتقدوا ذلك بقلوبهم، وأفصحوا ذلك بألسنتهم، وعلموه طلابهم، وأولادهم، وألفوا الكتب، وكتبوا الرسائل، في إظهار هذا المعتقد، فجزاهم الله خيرًا.

قول أهل السنة والجماعة في القرآن

أهل السنة يقولون: القرآن كلام الله، غير مخلوق، منه بدأ بدليل قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٩٢]. وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة السجدة:٢]. وقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢]. وغيرها من الأدلة.

وإليه يعود، فإنه يرفع من الصدور، ويرفع من السطور، بدليل حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى صِيَامٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَا نُسُكٌ وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ يَقُولُ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَنَحْنُ نَقُولُهَا**» قَالَ لَهُ صِلَةُ: فَمَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ صياماً، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَا نُسُكًا، فأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ، تُنْجِيهِمْ» .[1]

«**يدرس الإسلام**» من درس الرسم دروس إذا عفا وهلك، ومن درس الثوب درسًا إذا صار عتيقًا، أي: واسعًا «**وشي الثوب**» نقشه. «**وليسرى على كتاب الله**» أي: يذهب بالليل.

ويعتقد أهل السنة: أن كلام الله قديم النوع، حادث الآحاد، متعلق بالإرادة والمشيئة ومعنى قديم النوع أي: أن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا، فليس الكلام حادثًا منه بعد أن لم يكن متكلمًا.

---

[1] وهو في الصحيح المسند(١/١٤٢)

وأن الله يتكلم بحرف وصوت يُسمَع، ومن أراد المزيد من المعرفة، فليرجع إلى كتب الاعتقاد، ومنها « شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز رحمه الله.

وهناك طوائف خالفت أهل السنة في القرآن، منها:

المعتزلة

وهم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وقرر أن الفاسق في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، وهو في الآخرة مخلد في النار، وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد. وواصل بن عطاء وضع للمعتزلة خمسة أصولٍ يمشون عليها:

١-العدل. ٢-التوحيد. ٣-انفاذ الوعيد. ٤-المنزلة بين المنزلتين.

٥-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

و«العدل » عندهم نفي القدر.

و« التوحيد » نفي الصفات.

و« الوعيد » تخليد العصاة في النار.

و« المنزلة بين المنزلتين » أن مرتكب الكبيرة لا يعتبر مؤمنٌ ولا كافر.

و« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » الخروج على الحكام.

والمعتزلة يقولون: إنَّ القرآن مخلوق، ويجعلونه من إضافة المخلوق إلى خالقه، مثل: (بيت الله – ناقة الله) وقد تقدم معنا أن المضاف إلى الله معان وأعيان، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة، كـ(بيت الله).

بخلاف إضافة المعاني، كـ (علم الله – وقدرة الله – وكلام الله –....)، فهذا كله من صفاته، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف. والمعتزلة في ضلال كبير.

الجهمية

وهم أتباع جَهْم بن صَفْوَان أبي مُحْرِزٍ الرَّاسِبِيُّ مَوْلاَهُم، السَّمَرْقَنْدِيُّ، الكَاتِبُ، المُتَكَلِّمُ، أُسُّ الضَّلاَلَةِ، وَرَأْسُ الجَهْمِيَّةِ، كَانَ صَاحِبَ ذَكَاءٍ وَجِدَالٍ، كَتَبَ لِلأَمِيْرِ حَارِثِ بنِ سُرَيْجٍ التَّمِيْمِيِّ، وَكَانَ يُنْكِرُ الصِّفَاتِ، وَيُنَزِّهُ البَارِي عَنْهَا بِزَعمِه، وَيَقُوْلُ: بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَيَقُوْلُ: إِنَّ اللهَ فِي الأَمكِنَةِ كُلِّهَا، وَكَانَ يَقُوْلُ: الإِيْمَانُ عَقدٌ بِالقَلْبِ، وَإِن تَلَفَّظَ بِالكُفْرِ، قِيْلَ: إِنَّ سَلْمَ بنَ أَحْوَزَ قَتَلَ الجَهْمَ؛ لِإِنْكَارِه أَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوْسَى.[١]

وأخذ الجهم عقيدته من الجعد من درهم، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله: ترجمة الجعد بن درهم بأنه أول من قال بخلق القرآن.

قتله خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى، وذلك أن خالدًا خطب الناس، فقال في خطبته تلك: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا، تعالى الله عما يقول: الجعد علوًا كبيرًا، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر.[٢]

والجهمية يقولون: بخلق القرآن، ويقولون: كلام الله مخلوق، ولم يتكلم الله به أبدًا، وإنما جعلوه خلقًا من مخلوقاته تعالى، وهذا لا شك في بطلانه.

ومنهم:

---

[١] السير للذهبي (٦/٢٧-٢٦)

[٢] "البداية والنهاية" (٩/٣٨٢)

الكُلَّابية، والأشاعرة

الكلابية: هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، ولُقِبَ بكلاب؛ لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه، ببيانه وبلاغته.

والأشاعرة: هم أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق.

وقد ذكر الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في فتاواه: أن أبا الحسن الأشعري مرَّ بثلاثة أحوال:

الحال الأول: معتزلي.

الحال الثاني: متوسط أي: متردد في بعض الصفات، مثل الرحمة، والرضا، والغضب، والسخط.

الحال الثالث: سُنِّي، إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هو إن كان سُنيًّا، فإنه دخل عليه الخلل في العقيدة، والسبب في هذا عدم تضلعه في علم الحديث – ثُم قال: فالذي هو ضعيف في علم الحديث، أو ليس عنده علم في علم الحديث، لابد أن تحصل له أخطاء. اهـ

خلاصة هذا: أن أبا الحسن كان معتزليًّا، ثم رجع إلى السُّنة، وألف كُتبًا، في الرد على المعتزلة، والأشاعرة المنسوبين إليه، ففضحهم، وبين عوارهم، وقد ترجم له الذهبي في السير. وأما أتباعه فقد استمروا على الضلالة، والعياذ بالله.

قول الكلابية، والأشاعرة، في كلام الله

يقولون: إن الكلام معنىً قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة ولا الإرادة ولا المشيئة، وهو صفة قديمة، ليس بحرف، ولا صوت، ولا يُسمع على الحقيقة، وهذه الأصوات مخلوقة، وهي إما حكاية عن كلام الله، أو عبارة عن كلام الله.

الكلابية: قالوا: القرآن حكاية عن كلام الله، والحكاية هي المماثلة أي: أنه مثل كلام الله، وليس هو كلام الله.

الأشاعرة: قالوا: القرآن كلام الله، وهو كلام نفساني، عبر به جبريل عن الله بلغته، والله لم يتكلم به.

فائدة: أول من اشتهر عنه هذا القول في الإسلام، هو عبد الله بن سعيد بن كلاب.

ومنهم:

الكُرامية

وهم أتباع محمد بن كرام بن عراق بن حزابة بن البراء، السجستاني، الضال المجسم، وكان يقول: إن القرآن كلام الله، حروف وأصوات، لكن تكلم الله به بعد أن لم يكن متكلمًا.[1]

ومن أراد أن يتوسع في هذا الباب فليرجع إلى شرح الطحاوية لابن أبي العز رحمه الله.

[1] شرح الطحاوية (١/١٢٨)

التحذير من الواقفة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلاً... ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحوا»

بعد أن انتهى الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من الرد على الجهمية والمعتزلة، والطوائف الضالة، في أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن أهل السنة أثبتوا ذلك وأفصحوا به، نشأت حينئذ طائفة أخرى يُسمون بالواقفة، وهؤلاء قوم شُكَّاك في دينهم، والشاك في دينه كافر، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

فقالوا: القرآن كلام الله، لكن نتوقف فلا نقول مخلوق أم غير مخلوق.

فائدة: يقسم بعض أهل العلم الواقفة إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: وقفوا وأمسكوا عن إطلاق القول بخلق القرآن، وعدم خلقه شكًا، ولم يتبين لهم الأمر بزعمهم، فهؤلاء يطلق عليهم شكاك.

فأنكر سلف هذه الأمة على هذا الصنف أشد النكير، وعَدُّوهم من الجهمية، بل أخبث منهم.

فهذا إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول- بعد أن سئل عن الواقفة-: « من كان يخاصم ويعرف الكلام فهو جهمي » وقال مرة: «من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي » وقال مرة: « هم شر من الجهمية»[1] وهذا الإمام اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: عن ابن الماجشون وغيره من العلماء « من وقف في القرآن بالشك فهو كافر.»

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد(١/ ١٧٩)

قال: وسمعت عبد الملك خاصة يقول: «من وقف في القرآن بالشك فهو مثل من قال مخلوق.» وقال محمد بن مسلم بن وارة: قال لي أبو مصعب: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: لا أدري يعني مخلوق أو غير مخلوق فهو مثله. ثم قال: بل هو شر منه.(١)

ومن أراد أن يتوسع في هذا الباب، فليرجع إلى شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، والسنة لعبد الله بن أحمد، وغيرها من الكتب النافعة، والله أعلم.

الصنف الثاني: سكتوا عن الخوض في ذلك مع اعتقادهم بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، تورعًا، ورأوا أن من قبلهم من السلف لم يتكلموا في ذلك.

ولمثل هؤلاء يقول الإمام أحمد رحمه الله: بعدما سُئل هل لَهُمْ رُخْصَةٌ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: كَلاَمُ اللَّهِ، ثُمَّ يَسْكُتُ؟ فَقَالَ: وَلِمَ يَسْكُتُ؟! لَوْلَا مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ، كَانَ يَسَعُهُ السُّكُوتُ، وَلَكِنْ حَيْثُ تَكَلَّمُوا فِيمَا تَكَلَّمُوا، لِأَيِّ شَيْءٍ لَا يَتَكَلَّمُونَ.(٢)

فكان الأولى أن يبينوا للناس أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لاسيما بعد أن تكلم أهل البدع في القرآن، وخاصة إذا كانوا من أهل العلم، لأن الناس بهم يقتدون، وإليهم ينظرون، وبفتواهم يعملون، والله المستعان.

الصنف الثالث: جاهل، وهذا عليه أن يسأل أهل العلم، ويتعلم منهم، والله أعلم.

وكل هذه الأصناف جمعها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما سُئل عن الواقفة فقال: «من كان يخاصم ويعرف بالكلام فهو جهمي، ومن لم يعرف بالكلام يجانب حتى يرجع

---

(١) " شرح أصول الاعتقاد "

(٢) مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود (١/ ٣٥٥)

، ومن لم يكن له علم يسأل».[١]

فالصنف الأول من الواقفة، ذكرهم الإمام أحمد من الجهمية، وكذلك عدهم الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من الجهمية بقوله: « كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ ».

وقوله:« وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلاً » في هذا تحذير لك أيها السلفي المتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، من أن ترى رأي الجهمية من الواقفة، بل هم شر من الجهمية وأخبث، فهم شكاك في القرآن، والله أعلم.

قوله: « كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ » الواقفة يصفهم الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بأنهم أتباع لجهم بن صفوان، الذي أخذ عقيدته من الجعد بن درهم.

فائدة: ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الجعد بن درهم تلقى هذا المذهب الخبيث، عن رجل يقال له أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، عن خاله لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ في مشط وماشطه...اهـ[٢]

قوله: « وَأَسْجَحوا» أي: لانت قلوبهم، واطمأنت نفوسهم، لهذا المعتقد الخبيث.

---

[١] السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٧٩)

[٢] "البداية والنهاية"(١٠/ ١٩)

التحذير من اللفظية

قال الناظم رحمه الله:

«ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقاً قرأتَهُ..... ... فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ»

بعد أن انتهى الناظم رحمه الله من التحذير من الجهمية الواقفة، بدأ يحذر من طائفة أخرى وهي « اللفظية»، الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، وهذه الشبهة هي من شبه الجهمية، فلما عُرِفوا بين الناس جاءوا بوجه جديد، وشبه جديدة، وهذا حال أهل البدع قديمًا وحديثًا.

وكلام اللفظية يُحتمل أمران:

الأمر الأول: هذا المقروء والملفوظ والمتلو كلام الله، وهذا غير مخلوق بلا شك، ولا ريب، فمن زعم أنه مخلوق فهو جهمي.

الأمر الثاني: حركة اللسان، والشفاه، والحنجرة، وصوت الإنسان، وهذا بلا شك أنها مخلوقة.

وقد أنكر السلف الصالح على مثل هذا القول: لفظي بالقرآن مخلوق، منهم الإمام أحمد في "السنة" واللالكائي في "شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة" والآجري في "الشريعة " وقد سُئل الإمام أحمد رحمه الله عن اللفظية فقال: هم جهمية وهو قول جهم ثم قال: لا تجالسوهم وقال مرة: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي[1]

---

[1] السنة لعبد الله (١/ ١٦٤)

فائدة: اللفظية على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لا يفرقون بين صوت القاري وكلام الباري، يقولون: إن التلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء، فيجعلونها شيئًا واحدًا.

القسم الثاني: توقفوا فيها، وقالوا: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها، فتوقفوا فيها.

القسم الثالث: فرقوا بين صوت القاري وكلام الباري، فقالوا: الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري، فالقراءةُ فعل القاري، وأفعال العباد مخلوقة، والمقروء كلام الباري، وكلام الله غير مخلوق. وهذا هو قول أهل الحق، من أهل السنة والجماعة.

قوله:« ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقاً قرأتَهُ..... ... فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ»

أي: لا تقل أيها السُني لفظي بالقرآن مخلوق، فهذا هو كلام الجهمية.

فإنَّ كلام الله بحروفه، ومعانيه، وألفاظه واضح، لمن كان له عقل سليم.

خلاصة هذه الأبيات الثلاث:

إن هذه الأبيات تضمنت ثلاثة مذاهب، في كلام الله:

الأول: التصريح بأن القرآن مخلوق، وهم الجهمية.

الثاني: التوقف فلا يقال مخلوق أو غير مخلوق، وهم الواقفة الجهمية.

الثالث: اللفظ بالقرآن مخلوق فيقول قائلهم: «لفظي بالقران مخلوق »، وهم اللفظية.

وكل هذه المذاهب الثلاثة ترجع إلى الجهمية، كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره. فقالوا: افترقت التجهمية ثلاث فرق: فرقة قالت: القرآن مخلوق. وفرقة قالت: نقف فلا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، وفرقة قالت: تلاوة القرآن، واللفظ بالقرآن مخلوق.

إثبات الرؤية لله سبحانه

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقُلْ يَتَجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرةً ..... كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ»

هذا البيت **فيه**: إثبات الرؤية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآخرة، والرؤية ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

فأما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣]. قوله: « ناضرة » أي: من النضارة وهي البهاء، والحسن، والجمال. و«ناظرة » أي: من النظر بالأبصار.

وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق:٣٥]. والمزيد: هو النظر إلى وجه الله سبحانه. وقوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة يونس:٢٦]. والزيادة: هي النظر إلى وجه الله سبحانه، فسرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح.

وأما السنة: فأحاديث كثيرة بلغت حد التواتر.

قال ابن أبي العز: وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًا.[١]

قال بعضهم:

ومما تواتر حديث من كذب..... ومن بنى لله بيتًا واحتسب

وَرُؤْيةٌ شفاعةٌ والحـــــوضُ ..... وَمَسْحُ خُفَّينِ وَهَذِي بَعْضُ

---

(١) "شرح الطحاوية" (١/١٥٩)

ومن الأحاديث:

حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً -يَعْنِي البَدْرَ -فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].(١)

وحديث صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**». وغيرها من الأحاديث.

وأما الإجماع: فقد نقل غير واحد من أهل العلم منهم: أبو الحسن الأشعري في "رسالته إلى أهل الثغر " (١/ ١٣٤) وشيخ الإسلام كما في " مجموع الفتاوى" وغيرهم من الأئمة.

قوله:« وَقُلْ يَتَجلَّى اللهُ »أي: قل: أيها المتمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بلسانك، ومعتقدًا بقلبك، بأن الله « يَتَجلَّى » بمعنى: ظهر وكشف عن وجهه يوم القيامة.

قوله: « للخَلْقِ جَهْرةً » والخلق هنا هم المؤمنون، يسعدهم ربهم، ويفرحهم، بالنظر إلى وجهه، فهذه ألذ مطامع أهل الجنة، ومن أجَلِّ مقاصدهم، كيف لا والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه بهذا. فقد جاء عن فضالة بن عبيد أنه كان يقول: « **اللهم إني أسألك الرضا بعد**

---

(١) رواه البخاري(٥٥٤)

القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر في وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة »وزعم أنها دعوات كان يدعو بها النبي ﷺ.[١]

قوله :« جَهْرَةً » أي: يظهر عيانًا غير مستتر، وليس بينه سبحانه وبين خلقه ما يستره عنهم، أو يحجبه عليهم.

قوله :« كَمَا البَدْرُ » البدر: قال صاحب الوسيط: هو القمر ليلة كماله، وليلة البدر: هي ليلة أربع عشرة. والبدر ليلة أربع عشرة يَشِعُّ نوره، ويظهر ضوءه، إذا لم يكن بيننا وبينه سحاب، فكلنا نراه بدون زحام أو ضرر، فكذلك أهل الإيمان يرون ربهم، بدون ضررٍ أو زِحَامٍ.

كما قال النبي ﷺ «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر .....»

والكاف للتشبيه، والمراد بالتشبيه ما قال الحافظ في " الفتح": المراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح، وزوال الشك، ورفع المشقة، والاختلاف. اهـ

وقال البيهقي رحمه الله: سمعت الشيخ أبا الطيب الصعلوكي يقول: «...والتشبيه برؤية القمر لتعيين الرؤية، دون تشبيه المرئي سبحانه ».

وقال ابن الأثير: « قد يتخيل بعض الناس أن الكاف كاف التشبيه للمرئي، وهذا غلط، وإنما هي كاف التشبيه للرؤية، وهو فعل الرائي، ومعناه: أنه رؤية مُزاح عنها الشك، مثل رؤيتكم القمر».

---

[١] جاء عند ابن أبي عاصم في "السنة "وهو في "الصحيح المسند " (١/١٩)

وقال ابن قدامة: وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله لا شبيه له، ولا نظير. اهـ[١]

قوله :« كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ » البدر ليلة الرابع عشرة يُرى لا يخفى، إذا لم يكن هناك سحاب، وهو مخلوق من مخلوقات الله، فكيف بالخالق ؟! فإنه أوضح منه.

بعض المسائل المتعلقة في باب الرؤية

المسألة الأولى: هل يُرى الله سبحانه في الدنيا؟

لا يُرى الله سبحانه في الدنيا أبدًا، ولذلك قال شيخ الإسلام: ولهذا اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله يُرى في الآخرة، ولا يراه أحدٌ في الدنيا بعينه.[٢]

والله ﷻ يقول لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]. وهذا في الدنيا.

وأما الرؤية المنامية فيُرى ﷻ، لكن ليس على حقيقته التي هو عليها، لقوله ﷺ:

«**أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى، في أحسن صورة، قال: أحسبه في المنام ...**».

وأما الحديث الذي أخرجه مسلم، عن بعض أصحاب النبي ﷺ برقم (١٦٩)

« **تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل، حتى يموت**».[٣]

المراد بهذا الحديث الرؤية الحقيقة في الدنيا، فإنه لا يرى أبدًا، أما في المنام فيُرى ﷻ، لكن ليس على حقيقته التي هو عليها.

---

[١] " لمعة الاعتقاد "(٢٢)

[٢] كما في "مجموع الفتاوى" (٢/ ٢٣٠)

[٣] رواه الترمذي(٣٢٣٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله.

المسألة الثانية: هل الكفار والمنافقون يرون الله في الآخرة؟

اختلف العلماء في هذه المسألة، والراجح والله أعلم، أن الكفار لا يرونه أبدًا، لقوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٥].

وأما المنافقون : فيرون الله سبحانه في عرصات القيامة ، لكن لا يستلذون برؤيته سبحانه ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه «... **وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ...**» [(١)]

المسألة الثالثة: أين يُرى الله سبحانه وتعالى في الآخرة؟

يُرى الله في موضعين، كما جاء في الأدلة:

١- في عرصات القيامة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم آنفًا.

٢- وفي الجنة، لحديث صهيب رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ** ».

[(١)] رواه مسلم (١١٦٠)

فائدة: النظر له عدة استعمالات، بِحَسَبِ صِلاَتِهِ وَتَعَدِّيهِ بِنَفْسِهِ: فَإِنْ عُدِّيَ بِنَفْسِهِ فَمَعْنَاهُ: التَّوَقُّفُ وَالاِنْتِظَارُ، ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [سورة الحديد:١٣]. وَإِنْ عُدِّيَ بِـ " فِي " فَمَعْنَاهُ: التَّفَكُّرُ وَالاِعْتِبَارُ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف:١٨٥]. وَإِنْ عُدِّيَ بِـ " إِلَى " فَمَعْنَاهُ: الْمُعَايَنَةُ بِالْأَبْصَارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [سورة الأنعام:٩٩]. – وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣].[١]

[١] "شرح الطحاوية لابن أبي العز" (٢٠٩).

نَفْي الشَّبَهِ عن الله سبحانه

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَلَيْسَ بمْولُودٍ وليسَ بِوَالِدٍ .... وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ»

بعد أن ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إثبات الرؤية، وقد شبَّه الرؤية بالرؤية، نفى الشبه عن الله، في هذا البيت، وهذا من أحسن ما يكون، فقد يتوهم الإنسان أن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ شبه الله بالقمر في البيت المتقدم، فنفى تشبيه الله بالقمر، وهذا البيت وقع بين إثبات الرؤية لله، وبين من ينفي هذه الرؤية.

قوله :« وَلَيْسَ بمْولُودٍ وليسَ بِوَالِدٍ » أي: لا ولد له، ولا والد، لكمال غناه، كما قال السعدي، وقد قال الله سبحانه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص:٣-٤].

فائدة: قال ابن عاشور: أي: ولم يلده غيره، وهي بمنزلة الاحتراس سدّاً لتجويز أن يكون له والِد، فأردف نفي الولد بنفي الوالد، وإنما قدم نفي الولد لأنه أهم إذ قد نَسب أهل الضلالة الولَد إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى الله والدًا.[1]

وقوله:« وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ » فالله لا شبيه له، ولا مثيل، ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى:١١]. وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم:٦٥].

---

[1] التحرير والتنوير(٢٥١/٣٣)

فالله ليس له شبيه، ولا مثيل، فلا يُشَبَّه الله بخلقه، فمن شبه الله بخلقه فهو كافر، فقد ذكر شيخ الإسلام قَوْلِ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الخزاعي شَيْخِ الْبُخَارِيِّ: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولُهُ تَشْبِيهًا. »[١]

فائدة: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا: أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ.[٢]

قوله: « تَعَالَى المسَبَّحُ » قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: فإنه تعالى الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص وآفة وعيب. اهـ

وفيه: إثبات صفة العلو لله سبحانه.

قوله: « المسَبَّحُ » التسبيح مصدر سبَّح، والتسبيح لله، تقديسه وتنزيهه، وقول: سبحان الله تنزيهه تعالى، وتعظيمه، وإجلاله، أي: أُبرئ الله عن كل سوء. وتقال: سبحان الله عند التعجب.[٣]

❖ وردت أحاديث كثيرة في فضل التسبيح، ولسنا في صدد ذكرها. والله المستعان.

---

[١] كما في مجموع الفتاوى (٥/ ١١٠)

[٢] كما في «مجموع الفتاوى»(٢/ ١٢٦)

[٣] "معجم الغني "

إنكار الجهمية للرؤية

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وعِنْـدَنَا... ... بِمِصْـــدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَـرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقَالِ مُحَمَّـــــدٍ ..... فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَـــحُ»

في هاتين البيتين رد على من أنكر رؤية الله في الآخرة، من الجهمية، وغيرهم من الفرق الضالة.

قوله :« وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ »"قد" هنا حرف تحقيق؛ لأن الجهمية ينكرون الرؤية، ولذلك قال سفيان بن عيينة: من لم يقل: القرآن كلام الله، وإن الله يُرى في الجنة، فهو جهمي.(١)

قوله: « يُنكِرُ الجَهْمِيُّ » الجهمية: هم أتباع الجهم ابن صفوان، وقد تقدم ذكر بعض ترجمته.

قوله :« هَذَا » أي: ينكر الجهمي، رؤية الله سبحانه في الآخرة. وأشار باسم الإشارة؛ لأن الرؤية قد ذكرت قبل هذا.

قوله: «وعِنْدَنَا» أي: عند أهل السنة والجماعة، من إثبات الرؤية لله سبحانه في الآخرة.

قوله :« بِمِصْـــدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَـرِّحُ » أي: عندنا أهل السنة، ما يصدق قولنا، بإثبات الرؤية لله سبحانه في الآخرة، حديث يصرح بذلك، بل أحاديث وصلت إلى حد التواتر، تدل على رؤية الله سبحانه في الآخرة.

---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي" (٩٥٣)

قوله:« رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقَالِ مُحَمَّـــــدٍ » أي: هذا الحديث الصحيح المصرح بإثبات الرؤية، رواه صحابي جليل، يُسمى جرير بن عبد الله البجلي.

والحديث جاء عن قَيْسِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ يَقُولُ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» -يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ -، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [سورة طه:١٣٠].[١]

«**لا تضامون**» يجوز ضم التاء وفتحها، وهو بتشديد الميم من الضم أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض، ولا يقول: أرنيه بل كل ينفرد برؤيته، وروي بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم، يعني: لا ينالكم ظلم، بأن يرى بعضكم دون بعض، بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى.[٢]

قوله :« جَرِيرٌ » هو جـــرير بن عبد الله بن مالك، البجلي، القسري، الأمير، النبيل، الجميل، أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله، كان سيدًا في قومه، مطاعًا، وله فضائل كثيرة، مذكورة في كتب السير، منها:

---

[١] رواه البخاري(٥٥٤) ومسلم (٦٣٣)

[٢] محمد فؤاد عبد الباقي

ما في البخاري (٣٠٣٥) عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**»

قوله :« عن مَقَالِ مُحَمَّـــــدٍ » أي: هذا الحديث رواه جرير عن النبي ﷺ الصادق المصدوق، لم يأتِ به من كلامه، أو آرائه، فهو حديث من أحاديث النبي ﷺ.

قوله :« فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ » أي: فقل: أيها المتمسك بكتاب ربك، وسنة نبيك ﷺ، مثل قول النبي ﷺ في إثبات الرؤية لله سبحانه في الآخرة، فإذا قلت: مثل قوله: فقد أفلحت، وفزت، ونجحت، ففلاحك مضمون، ونجاحك مضمون، بإذن الله سبحانه.

والنجاح، هو الظفر بالشيء.[١]

مسائل متعلقة بهذا الباب

المسألة الأولى: من هم الذين ينكرون الرؤية لله ﷻ في الآخرة؟

قال ابن أبي العز: الْمُخَالِفُ فِي الرُّؤْيَةِ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْإِمَامِيَّةِ، وَقَوْلُهُمْ بَاطِلٌ مَـرْدُودٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّـنَّةِ، وَقَدْ قَالَ بِثُبُوتِ الرُّؤْيَةِ الصَّحَـابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَأَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُونَ بِالْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ، وَسَائِرُ طَوَائِفِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَنْسُوبُونَ إِلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.[٢]

---

(١) قاله: "صاحب لسان العرب" (٢/٦١١)

(٢) " شرح الطحاوية " (١٨٩)

المسألة الثانية: حكم من أنكر الرؤية؟

قال شيخ الإسلام: والذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر، فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك، عرف ذلك كما يعرف من لم تبلغه شرائع الاسلام، فإن أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر.[١]

وقال ابن باز رحمه الله: من قال إن الله لا يرى، فمن أنكر رؤية الله في الآخرة، ورؤيته في الجنة فهذا كفر أكبر؛ لأنه كذب الله وكذب رسوله عليه الصلاة والسلام...اهـ[٢]

وقال ابن عثيمين رحمه الله: فرؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة ثابتة بالقرآن والسنة وإجماع السلف، حتى إن بعض العلماء رحمهم لله صرح بأن من أنكر رؤية الله في الآخرة فهو كافر؛ لأنه مكذب للنصوص الصريحة الصحيحة، ومخالف لإجماع السلف.[٣]

---

[١] كما في "مجموع الفتاوى" (٦/٤٨٦)

[٢] "نور على الدرب" (١/١٥٤)

[٣] "العقيدة السفارينية" (٥١٣)

إثبات اليد لله سبحانه وإنكار الجهمية لها

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِيْنَهُ..... ..... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ»

قوله :« وَقَدْ » قد هنا حرف تحقيق.

قوله :« يُنكِرُ الجَهْمِيُّ » أي: الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، الذين ينكرون الأسماء والصفات.

قوله :« أَيضًا » أي: كما أنَّ الجهمية ينكرون الرؤية، فهم ينكرون أيضًا اليد لله سبحانه.

قوله :« يَمِيْنَهُ » أي: يمين الرحمن سبحانه، وكلتا يديه يمين مباركة، **وفيه:** إشارة إلى أن كلتا يديه سبحانه يمين، كما في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« **إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**».[1]

قوله :« وَكِلْتَا يَدَيْهِ » فيه تصريح بأن لله يدين حقيقيتين، وهاتان اليدان موصوفتان بالكف، والأصابع، والقبض، والبسط، ونحو ذلك، مما جاء في الشرع، من أصافهما، والله أعلم بكيفيتهما.

قوله :« وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ » الفواضل: جمع فاضلة، وهي النعمة العظيمة.

« تَنْفَحُ » النفحة: الطِّيب الذي تـرتاح له النفوس. والنفحة: العَطِية. وهذا كما قال

---

[1] رواه مسلم (١٨٢٧)

النبي ﷺ: « **إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، ...**».(١)

❖ اليد من الصفات الثابتة لله، بالكتاب والسُّنة والإجماع.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [سورة ص:٧٥]. وقوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [سورة المائدة:٦٤]

وأما السُّنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ -أَوِ القَبْضُ -يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**»(٢)

وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:«**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**».(٣)

وهناك أحاديث كثيرة، تدل على إثبات اليد لله سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

---

(١) رواه البخاري بهذا اللفظ (٧٤١٩)

(٢) أخرجه البخاري (٧٤١٩) ومسلم (٩٩٣)

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٩)

وأما الإجماع: فقد نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم، منهم: أبو الحسن الأشعري في "رسالة أهل الثغر " (٢٢٥) قال: « وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى وأن له تعالى يدين مبسوطتين...»

المسائل المتعلقة بالباب

المسألة الأولى: ماذا يقول: أهل السُّنة والجماعة في صفة اليد؟

مذهب أهل السنة والجماعة إثبات يدين حقيقيتين لله تعالى، كما يليق بجلاله؛ لدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على ذلك، قال سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة:٦٤] ومن السُّنة حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال: قال رسول الله ﷺ «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**».(١)

فهذه النصوص -وغيرها كثير -صريحة في إثبات يدين حقيقيتين لله سبحانه، كما يليق بجلاله، وعظيم سلطانه.

المسألة الثانية: ما هو الجمع بين ورود اليد بصيغة الإفراد والتثنية والجمع؟

❖ وردت اليد بصيغة الإفراد كما في قوله سبحانه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح:١٠] وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة يس:٨٣].

وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الملك:١].

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٧)

❖ ووردت بصيغة التثنية، كما قال سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة:٦٤]

❖ ووردت بصيغة الجمع، كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ [سورة يس:٧١].

فيجمع بين هذه الآيات بجمع طيب معروف بين أهل العلم، وقد ذكر هذا الإمام ابن عثيمين في " شرح لمعة الاعتقاد "(٥٧)

والجمع بين هذه الآيات: أن لله يدين لا أكثر لقوله سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة:٦٤] ومجيء اليد بصيغة الإفراد لا يمنع أن لله يدين؛ لأن المفرد المضاف يفيد العموم، والشمول، فيشمل كل ما ثبت لله من يد، ولا ينافي الثنتين، كما قال سبحانه ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [سورة النحل:١٨]. فـ«نعمة » مفرد مضاف يشمل كل نعمة، دينية أو دنيوية.

وأما مجيء اليد بصيغة الجمع، كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ [سورة يس:٧١]. فلا يخالف ثبوت اليدين لله سبحانه لأمور عديدة:

١. أن أقل الجمع اثنان، وهو الراجح لقوله سبحانه: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ

شَٰهِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:٧٨]. فذكر الله نبيين داود وسليمان وهما اثنان، ثم جمعهما سبحانه فقال: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ .

٢. أن هذا للتعظيم وهو قول ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح "اللمعة"، وهناك جموع أخرى تنظر في كتب أهل العلم .

المسألة الثالثة: هل لله شمال؟

ورد ذكر الشمال في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟** ».[(١)]

وأما في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: « **وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ** » فما الجمع بينهما؟

العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن الله سبحانه توصف يداه باليمين والشمال من حيث الاسم، كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « وكلتاهما يمين مباركة »؛ من حيث الشرف والفضل.[(٢)]

وهكذا كان العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ يرى هذا، ثم تراجع عن هذا القول، وحكم على لفظة « بشماله » بالنكارة، وهو الصحيح.

قال البيهقي: وَذِكْرُ الشِّمَالِ فِيهِ –أي: في الحديث–تَفَرَّدَ بِهِ عُمَرُ بْنُ حَمْزَةَ عَنْ سَالِمٍ.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٨)

(٢) انظر "مجموع فتاوى ابن باز "(٢١/٣٤٩)

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ نَافِعٌ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مِقْسَمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، لَمْ يَذْكُرَا فِيهِ الشِّمَالَ، وَرَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْهُمُ الشِّمَالَ، وَرُوِيَ ذِكْرُ الشِّمَالِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ ضَعِيفٌ بِمَرَّةٍ؛ تَفَرَّدَ بِأَحَدِهِمَا جَعْفَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَبِالْآخَرِ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ، وَهُمَا مَتْرُوكَانِ، وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ؟ وَصَحِيحٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمَّى كِلْتَيْ يَدَيْهِ يَمِينًا، وَكَأَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ أَرْسَلَهُ مِنْ لَفْظِهِ عَلَى مَا وَقَعَ لَهُ، أَوْ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي ذِكْرِ الشِّمَالِ فِي مُقَابَلَةِ الْيَمِينِ.[١]

وذكر الشيخ كمال العدني رَحِمَهُ اللَّهُ: تضعيف لفظة « **بشماله** »، ثم قال: وممن أثبت اليدين وأن كلتيهما يمين، ورد رواية الشمال، ابن خزيمة، والإمام أحمد، والبيهقي، والألباني، وغيرهم، فالصحيح أن كلتا يديه يمين مباركة.[٢]

المسألة الرابعة: مَن هم الذين خالفوا أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليد؟

هم: الجهمية، والمعتزلة، وغيرهم من الطوائف الضالة، وذهبوا إلى تأويل صفة اليد بالنعمة، أو القدرة، يقولون: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة:٦٤] أي: نعمتاه، أو قدرتاه، وهذا باطل.

- فالجهمية: ينكرون صفة اليد، ويؤولونها بالقدرة، وهذا مذهب باطل، فلو كان معنى اليد القدرة لقال: إبليس عندما قال الله له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة ص:٧٥].

---

[١] "الأسماء والصفات" (٢/١٣٩)

[١] "النبراس على شرح الواسطية للهراس" (١٢٩)

آدم خلقته بقدرتك، وأنا خلقتني بقدرتك، فلا فضل له عليَّ بذلك، فإبليس مع كفره كان أعرف بربه من الجهمية.[١]

- وكذلك من قال: إن المراد بقوله سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة:٦٤] نعمتاه، فهذا باطل إذ لو قلنا هذا، لحصرنا نعم الله بنعمتين فقط، ونعم الله كثيرة لا تحصى، كما قال أهل العلم.

فائدة: اليد من صفات الله الذاتية، فذكر الناظم رحمه الله اليد؛ كأنه يشير إلى إثبات جميع صفات الله الذاتية، وأن العبد لابد له أن يثبتها على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.

[١] انظر "شرح الطحاوية لابن أبي العز" (٢٦٥)

صفـــة النـــــزول

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّــارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ.... ..... بِلا كَيْف جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ

إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْـــلِهِ..... ..فَتُفْرَجُ أَبْــوابُ السَّماءِ وتُفْتحُ

يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَــافِرًا. . ... ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأَمْنَـحُ »

بعد أن انتهى الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من ذكر صفات الله الذاتية، انتقل إلى ذكر صفة من صفات الله الفعلية، وكأنه يشير إلى أن الصفات **تنقسم إلى قسمين**:

١. صفات ذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفًا بها، لا تنفك عنه أبدًا، كالسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، ...وغيرها من الصفات الذاتية.

٢. صفات فعلية: وهي التي تتعلق بمشيئته سبحانه، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالنزول... وقد تكون صفة ذاتية فعلية، مثل:« الكلام».

فائدة: قال الشيخ كمال العدني رَحِمَهُ اللَّهُ: إن السلف هم أصحاب القرون المفضلة، لم يرد عنهم هذا التقسيم، ...ثُم قال: لا يُحكم على هذا التقسيم بالبدعة؛ لأنه غير مخالف للشرع، ولا لفهم السلف، بل هو موافق لهم ... ثُم قال: لا فرق بين صفات الذات، وصفات الفعل، من كون الله متصفًا بها أزلاً. اهـ[1]

في هذه الأبيات يذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ صفةً فعليةً لله سبحانه، وهي صفة النزول، وصفة النزول، صفة ثابتة لله سبحانه بالسنة والإجماع.

---

[1] "التعاليق العُلى على القواعد المثلى"(١١١)

أما السنة: فقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على أن الله ينزل إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقيًا، يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، ونذكر بعضًا منها، ونكتفي بالدلالة عليها:

١. حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**».(١)

٢. حديث أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ».(٢) وجاءت هذه الأحاديث بألفاظ كثيرة.

٣. حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي يَهْبِطُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**».(٣)

وأما الإجماع: فقد نقله غير واحد من أهل العلم منهم:

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨)

(٢) رواه مسلم (٧٥٨)

(٣) رواه أحمد (٣٦٧٣) وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٤١٤) للوادعي رحمه الله بل قال: هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

١. أبو الحسن الأشعري في "رسالته إلى أهل الثغر "(١٢٩-١٢٨) قال: وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفًّا ... وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كما روي عن النبي ﷺ.

٢. أبو النصر السجزي كما في " درء تعارض العقل والنقل "(٦/ ٢٥٠) قال: فأئمتنا كسفيان الثوري، مالك، سفيان بن عيينة، حماد بن سلمة، حماد بن زيد، عبد الله بن المبارك، فضيل بن عياض، أحمد بن حنبل، إسحق بن إبراهيم الحنظلي، متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا. اهـ

وغيرهم من أئمة العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية.

وقوله :« وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ » أي وقل: أيها المتمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، نزولاً حقيقيًا يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، من غير تحريف، ولا تمثيل، ولا تكيف.

قوله :« الجَبَّارُ »: الجبار: اسم من أسماء الله، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الحشر:٢٣].

ومعناه: هو الذي أجبر الخلق، وقهرهم على ما أراد من أمر أو نهي، وقيل: هو العالي فوق خلقه.[١]

---

[١] "جامع الأصول "(٤/ ١٧٣)

وقوله:« في كُلِّ لَيْلَةٍ »: هذا بدليل حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**».(١)

قوله:« بِلا كَيْف »: أي: أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا بكيفية لا نعلمها، وليس المراد أن الله ينزل بلا كيفية، لا؛ بل معلوم نزوله، مجهول كيفيته، فالكيف مجهول، ولا تُشبه كيفية نزول المخلوق، فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، لا يكيفون، ولا يجعلون لله صفات كصفات المخلوقين.

قوله:« جَلَّ...»: أي: عظم قدره سبحانه، عن صفات النقص، وعظم قدره من تشبيهه بالمخلوق.

قوله:« الوَاحِد ...»: الواحد من أسماء الله سبحانه، وهو بمعنى «الأحد» ذكر الزجاج في « تفسير أسماء الله الحسنى » (٥٨): أن الأحد أصله « وحد » ثُم قلبت الواو همزة، فأصبح «أحد» ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص:١].

وجاء عند ابن ماجه من حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« **اللَّهُ أَحَدٌ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».(٢)

ومعناه: قال القرطبي في "تفسيره": ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص:١].

أي: الواحد الوتر، الذي لا شبيه له، ولا نظير، ولا صاحبة، ولا ولد، ولا شريك.

وأصل أحد: وحد؛ قلبت الواو همزة. اهـ

---

(١) رواه البخاري

(٢) الصحيح المسند (١/٤٥٥)

وقد قال الله سبحانه: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [سورة يوسف:٣٩]. ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [سورة ص:٦٥].

قوله:« المتَمَدِّحُ »: أي: الممدوح، فالله قد مدح نفسه، وهو ممدوح على لسان عباده، فهو أهل للمدح، والثناء، والحمد، فالله سبحانه أهلٌ لِأنْ يوصف بالوصف الجميل، وكان نبينا ﷺ يمدح ربه سبحانه، ويثني عليه. فقد جاء في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: « **رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ: اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدّ**».

قوله:« إلى طَبَقِ الدُّنيا »: أي: ينزل الله سبحانه في كل ليلة إلى السماء الدنيا، نزولاً يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، **والطبق**: هو الغطاء، والسماء طبق للأرض، فالسماء مطبقة على الأرض، بمعنى: أنَّها سقف لهذه الأرض.

قوله:« يَمُنُّ بِفَضْلِه »: أي: يجود، وينعم، وهذا المنُّ، والكرم، والجود، كله بفضل منه سبحانه، وفضل الله كثير عظيم، فله الفضل والمِنَّة، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة آل عمران:٧٤]. والفضل: هو الإحسان ابتداء بلا علّة.

قوله:« يَمُنُّ بِفَضْلِه »: **وفيه**: إشارة إلى اسم من أسماء الله وهو المنان، كما جاء من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ،

ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**».(١)

فالله سبحانه «منّان » كثير العطاء والمن، إذًا وقت نزول الله إلى السماء الدنيا، وقت عظيم، فيه بركات عظيمة، فتوزع فيه الهبات، والأُعطيات، من رب الأرض والسموات.

قوله:« فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ »: أي: تنشق، وتفتح أبواب السماء، والسماء لها أبواب، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٤٠]. وقال ﷻ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [سورة القمر: ١١].

وفي الحديث الصحيح في الروح التي يصعد بها إلى السماء«... **وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ قَالُوا اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخْرُجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ فَلاَ يَزَالُ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ مَنْ هَذَا فَيُقَالُ فُلاَنٌ فَيُقَالُ لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا يُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَتُرْسَلُ مِنْ السَّمَاءِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ...**».(٢)

وكذلك عندما أسري بالنبيﷺ طلب جبريل أن يفتح له قال:« **حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ**

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٥٨) وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٤٢)

(٢) وهو في "الصحيح المسند " (١/ ١٢٥).

ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ لَنَا، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ...»[١].

وحديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ».[٢] وغيرها من الأحاديث التي تدل على أنَّ للسماء أبوابًا.

فأبواب السماء في الثلث الأخير من الليل تفتح، فهنيئًا لمن وجد بابًا مفتوحًا.

قوله:« يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا »القائل: هو الله سبحانه وتعالى، خلافًا للمعتزلة، والجهمية، الذين يزعمون أن النازل إلى السماء الدنيا هو أمر الله، أو ملك من ملائكة الله، أو رحمة الله، وسيأتي الرد عليهم إن شاء الله.

قوله:« ألا مُسْتغفِرٌ »ألا هنا للتحضيض، فهو يحض على الاستغفار، وطلب المغفرة، والمستغْفِر: هو من يطلب المغفرة. فإذا توجه العبد إلى ربه وطلب المغفرة منه سبحانه غفر الله له.

قوله: « يَلْقَ غَافِرًا »: وهو الله غفَّار الذنوب، والزلات، والعيوب. وهذا يشهد له قوله ﷺ: في الحديث «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

قوله:« ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأمْنَحُ » المستمنح: هو الذي يطلب المنحة وهي العطية، وعطاء الله واسع، وفضله عظيم، فالخيرات، والبركات تطلب من الله وحده.

---

[١] رواه مسلم (١٦٤)

[٢] وهو في الصحيح المسند

قوله:« ورِزقًا »: أي: يطلب الرزق، والرزق نوعان:

١. رزق عام، يشمل جميع العباد، البر والفاجر، والمؤمن والكافر، والأوليين والآخرين، وهو رزق الأبدان، وإليه يُشير قوله سبحانه: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة هود:٦].

٢. رزق خاص بالمؤمنين، وهو رزق القلوب، وتغذيتها بالعلم، والإيمان، وهو الرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين، على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته.(١)

قوله:« فأمْنَحُ »: جاءت في نسخة « فيُمْنَحُ » أي: أن العبد إذا قام في الوقت الذي ينزل الله فيه إلى السماء الدنيا؛ فيستغفر ربه، ويسأله من خير الدنيا والآخرة، فإن الله يمنحه، ويعطيه، وهو كريم سبحانه، ويد الله ملأى لا تغيضها نفقة، فينبغي للعبد أن يحرص في هذا الوقت، أن يسأل ربه، ويدعوه، علَّ الله أن يستجيب دعاءه، إنه كريم منان.

(١) تفسير السعدي (٩٤٨-٩٤٧)

صحة أحاديث النـــــــزول

قال الناظم رحمه الله:

«رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثَهُم... ... ... ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا»

أي: روى أحاديث نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا عن النبي ﷺ قوم ثقات، لا يرد حديثهم، فأحاديث النزول، من الأحاديث المتواترة الصحيحة الثابتة، عن النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: والنزول المذكور في الحديث النبوي، على قائله أفضل الصلاة والسلام، الذي اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم واتفق علماء الحديث على صحته...وقد روى عن النبي ﷺ من رواية جماعة كثيرة من الصحابة كما ذكرنا قبل هذا فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث والذي لا شك فيه إذا بقي ثلث الليل الآخر. اهـ(١)

وقال ابن القيم رحمه الله: وَتَوَاتَرَتِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.(٢)

وقال أيضًا رحمه الله: إِنَّ نُزُولَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا قَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَوَاهُ عَنْهُ نَحْوَ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ نَفْسًا مِنَ الصَّحَابَةِ.(٣)

فائدة: قال الشيخ أبو عثمان: ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته

---

(١) كما في "مجموع الفتاوى" (٥/ ٤٧٠)

(٢) "مختصر الصواعق المرسلة" (٤٤١)

(٣) "الصواعق المرسلة" (٤٤٤)

رسول الله، وينتهون فيه اليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه الى الله سبحانه وتعالى....[١]

قوله:« ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا »

فمن كذَّب هؤلاء الصحابة، والتابعين، الذين رووا حديث النزول، فقد خسر وخاب، والخيبة: حرمان الخير، نسأل الله العافية.

قوله:« وقُبِّحُوا » القبح: ضد الحسن، ويكون في القول، والفعل، والصورة، ويقال:« قبَّحه الله » أي: نحاه وأبعده.[٢]

مذهب المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة النزول

ذهبت المعتزلة والجهمية وكثير من الأشاعرة، إلى تأويل نزول الله سبحانه؛ بنزول أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته، وهذا باطل، **لوجوهٍ منها**:

١. نزول أمر الله، ورحمته، وملائكته، ليس له حد زماني، ولا مكاني؛ فهم ينزلون في كل وقت وساعة، ولا يختص في الشطر الثاني من الليل، أو في الأسحار.

٢. ما جاء في الحديث «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟** »، ومعلوم أنه لا يجيب الدعاء، ويغفر الذنوب، ويعطي كل سائل سُؤْلَه، إلا الله. وأما أمرُ الله، ورحمته، لا تفعل شيئًا من ذلك.

---

[١] شرح عقيدة السلف للصابوني

[٢] "معجم الوسيط"

٣. أن ما جاء في الحديث يمنع حمله على الملائكة، أو أمر الله، أو رحمته، وهو قوله ﷺ: « **مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟** ».

وهذا القول لا يجوز أن يقوله ملك من الملائكة، إنما يقوله ملك الملوك. ولو كان كما يقول هؤلاء لقال: الملك من يستغفر الله فيغفر له....

تنبيه: هناك ردود غير هذه، ذكرها أهل العلم في كتبهم منهم: شيخ الإسلام في "شرح حديث النزول". (٦٦)

فضل الخلفاء الراشدين

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ... ..... وَزِيراهُ قُدْمًا، ثُمَّ عُثْمَانُ الأَرْجَحُ

وَرابِعُهُم خَيْرُ البريَّةِ بَعْـــدَهُم.... ..... عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ، بالخَيرِ مُنْجِحُ »

قوله:« وَقُلْ » أي: أيها المتمسك بكتاب الله، المتبع لسنة رسول اللهﷺ.

« إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ» أي: أفضلهم، وأشرفهم، وأكرمهم، بعد « مُحَمَّدٍ » وهو النبيﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي.

« وَزِيراهُ » الوزير في اللغة: هو خاصة الملك، الذي يحمل ثقله، ويعينه برأيه.(١)

قال "صاحب لسان العرب": والوَزِيرُ: حَبَأُ المَلِكِ الَّذِي يَحْمِلُ ثِقْلَه وَيُعِينُهُ برأْيه، ... قَالَ: الْوَزِيرُ فِي اللُّغَةِ اشْتِقَاقُهُ مِنَ الوَزَرِ، والوَزَرُ الجبلُ الَّذِي يُعْتَصَمُ بِهِ لينجي مِنَ الْهَلاَكِ، وَكَذَلِكَ وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ مَعْنَاهُ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى رأْيه فِي أُموره وَيَلْتَجِئُ إِليه، وَقِيلَ: قِيلَ لِوَزِيرِ السُّلْطَانِ وَزِيرٌ لأَنه يَزِرُ عَنِ السُّلْطَانِ أَثْقال مَا أُسند إِليه مِنْ تَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ أَي يَحْمِلُ ذَلِكَ.

فَوَصَفَ الناظمُ رَحِمَهُ اللَّهُ أفضلَ الصحابة، أبا بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأنهما وزيران للنبي ﷺ؛ لأنهما كانا كثيرًا ما يقعدان مع النبيﷺ ، ويخرجان معه، ولذلك قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد وفاة عمر كما في البخاري(٣٦٨٥) ومسلم (٢٣٨٩) عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: وُضِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، قَالَ فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي

(١) "معجم الوسيط"

مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَاكَ أَنِّي كُنْتُ أُكَثِّرُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو، أَوْ لَأَظُنُّ، أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا**».

بل كان النبيﷺ كثيرًا ما يستشيرهما كما في « قصة أسارى بدر». فأبو بكر وعمر بمقام الوزير للملك.

قوله:« وَزِيراهُ قُدْمًا » بكسر القاف: من أسماء الزمان يقال: كان كذا قِدمًا: في الزمان القديم.(١)

أي: أن أبا بكر وعمر وزيران للنبيﷺ منذ القدم، ومن بداية الدعوة، خاصة أبا بكررضي الله عنه.

وبضم القاف: « القُدم » هو المُضِي إلى الأمام و« القُدُم » من الرجال الشجاع، أي: أن أبا بكر وعمر كانا ذا شجاعة عظيمة، ولذلك كانا كالوزيرين للنبيﷺ.

(١) "معجم الوسيط"

فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وهو: عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي التيمي رضي الله عنه.

فقبل أن أذكر بعض فضائله، أحببت أن أذكر مولده، ووفاته، من باب الفائدة.

مولده: ولد أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد عام الفيل بالاتفاق، واختلف أهل السير في المدة التي بعد عام الفيل، منهم من يقول: بعد عام الفيل بثلاث سنين، ومنهم من قال: بسنتين وأشهر، والله أعلم بالصواب.

وفاته: تُوُفِّيَ رضي الله عنه وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، مُجْمَعٌ عَلَى ذَلِكَ فِي الرِّوَايَاتِ كُلِّهَا، اسْتَوْفَى سِنَّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.(١)

فضائله: لأبي بكر فضائل كثيرة، لسنا في صدد ذكر فضائله، وقد توسع من توسع في ذكر فضائله، فكتبوا الرسائل في ذلك، لكن نُطيب هذه الرسالة بذكر شيء منها.

١. يُعد أبو بكر رضي الله عنه من أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقه، يوم كذبه الناس، وآواه، فقد جاء عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**» فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «**يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ،

---

(١) الطبقات لابن سعد(٣/ ٢٠١)

مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

٢. أن الله تعالى لم يصف أحدًا من الصحابة بأنه صاحب رسول الله ﷺ غير أبي بكر رضي الله عنه قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٤٠].

٣. ما جاء في البخاري (٣٦٥٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً، لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**»

٤. كان من أحب الرجال إلى النبي ﷺ كما جاء في حديث عَمْرُو بْنُ العَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: " أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**» فَعَدَّ رِجَالًا.[١]

---

[١] رواه البخاري (٣٦٦٢)

٥. كان من أعلم الصحابة على الإطلاق، لحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ العَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ**».

وغيرها من الفضائل والمناقب، يطول ذكرها.

ذِكْرُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه

هو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي.

مولده: جاءت أخبار كثيرة في تحديد العام الذي ولد فيه عمر بن الخطاب، والراجح والله أعلم، أنه ولد بعد عام الفيل بثلاثة عشر سنة، والنبي ﷺ أسن منه بثلاثة عشر سنة، وهذا القول يشهد له ما جاء في صحيح مسلم (٢٣٥٢) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، فَذَكَرُوا سِنِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَكْبَرَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: «قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ، وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ، وَقُتِلَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ» فتبين من الحديث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه توفي والنبي ﷺ في سن واحد وهو(٦٣سنة) وقد تعمر عمر بعد النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا، فيكون ولادته بعد النبي ﷺ بثلاثة عشر عامًا، والله أعلم.

وفاته: توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شهيدًا، في مدينة رسول الله ﷺ، وهو يصلي صلاة الفجر على يد أبي لؤلؤة المجوسي، غلام المغيرة بن شعبة، من يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة.[١]

---

[١] "البداية والنهاية" (٧/ ٢٥٤)

فضائله: مناقبه وفضائله كثيرة، أذكر بعضًا منها:

١. بإسلامه أعز الله الإسلام كما في حديث ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**» قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ.(١)

٢. أنه رضي الله عنه كان ملهمًا كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**».(٢) والمُلْهَم: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد. وذكروا أشياء كثيرة في تفسير « الملهم».

٣. بشره النبي ﷺ بقصر في الجنة، كما جاء في حديث سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا**» فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.(٣)

٤. يفر الشيطان منه رضي الله عنه ، كما جاء في حديث مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ،

---

(١) رواه الترمذي(٣٦٨١) وصححه الألباني

(٢) رواه البخاري(٣٤٦٩) ومسلم (٣٤٩٨)

(٣) رواه البخاري (٣٢٤٢)

فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ**» فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِيهًا يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**».

ولعمر بن الخطاب فضائل كثيرة، ومناقب غزيرة، من قوله:« وافقت ربي في ثلاث » وشهادة النبي ﷺ له بالعلم؛ حيث رأى له رؤيا فأولها النبي ﷺ « **بالعلم** » يطول ذكرها.

ذِكْرُ عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه

قوله:« ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ » عثمان: هو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.(١)

مولده: ولد في مكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح، وقيل: ولد في الطائف، فهو أصغر من رسول الله ﷺ بنحو خمس سنوات.(٢)

وفاته: استشهد في أيام التشريق، من شهر ذي الحجة، سنة ست وثلاثين(٣٦) وهو محصور في الدار على يد الخوارج عاملهم الله بعدله.(٣)

فضائله: أما فضائله فكثيرة، ومناقبه غزيرة، أكتفي بذكر بعض منها:

١. تزوج بابنتي رسول الله ﷺ، وما تزوج رجل بابنتي نبي إلا عثمان رضي الله عنه تزوج برقية وأم كلثوم رضي الله عنهما .

٢. هاجر الهجرتين، إلى الحبشة والمدينة.

٣. أنه تستحيي منه الملائكة، لحديث عائشة رضي الله عنها ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ -

---

(١) الطبقات لابن سعد

(٢) "الموسوعة العقدية" (٤/٢٠٠٣)

(٣) البداية والنهاية

فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**».(١)

٤. بشره رسول الله ﷺ بالجنة، لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**» فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ لِي: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، فَإِذَا عُثْمَانُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.(٢)

٥. كان رضي الله عنه متصفًا بالأخلاق الحميدة، في الجاهلية والإسلام، ولم يقترف شيئًا يقدح في خُلقِه، حتى إنَّه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ أَوْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ أَوْ قَتَلَ نَفْسًا فَيُقْتَلُ بِهَا فَوَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِدِينِي بَدَلًا مُنْذُ هَدَانِي اللَّهُ وَلَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ قَطُّ وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا فَبِمَ يَقْتُلُونَنِي**».(٣)

---

(١) رواه مسلم(٢٤٠١)

(٢) رواه البخاري (٣٦٩٣)

(٣) رواه أحمد (٤٣٧) وهو في "الصحيح المسند"

٦. وكان رضي الله عنه كثير المال، كثير الإنفاق والعطاء، جهز جيش العسرة، وحفر بئر رومة، إلى غير ذلك من الفضائل.

قوله: « ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ » يشير الناظم رحمه الله إلى أنه وقع خلاف في تفضيل عثمان على علي رضي الله عنهما، فالراجح أن عثمان رضي الله عنه مقدم في الفضل على علي رضي الله عنه، لحديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «**كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ** رضي الله عنهم». [١]

ومما يدل على كذلك أن أصحاب الشورى قدموا عثمان على علي رضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَنَازَعُونَ فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهما لَكِنْ ثَبَتَ تَقْدِيمُ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ بِاتِّفَاقِ السَّابِقِينَ عَلَى مُبَايَعَةِ عُثْمَانَ طَوْعًا بِلاَ كُرْهٍ؛ بَعْدَ أَنْ جَعَلَ عُمَر الشُّورَى فِي سِتَّةٍ: عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ. [٢]

---

[١] رواه البخاري (٣٦٥٥)

[٢] كما في "مجموع الفتاوى" (٤/ ٤٧٩)

ذِكْرُ عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله:

« وَرابِعُهُم خَيْرُ البريَّةِ بَعْدَهُم... ... ... عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ، بالخَيرِ مُنْجِحُ »

قوله:« وَرابِعُهُم » أي: رابع الخلفاء الراشدين، في الفضل، والمكانة والمنزلة.

قوله:« خَيْرُ البريَّةِ» البرية: المقصود بها الناس والخلق، « البريَّةِ » من برأ الله الخلق أي: خلقهم.

قوله:« بَعْدَهُم »أي: بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في الفضل والمكانة والمنزلة. والناظم رحمه الله يرى تفضيل عثمان على علي رضي الله عنه، وهو الصحيح.

قوله:« عَلِيٌّ » هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، توفيت مسلمة قبل الهجرة، وقيل: إنها هاجرت.(١)

ولد علي رضي الله عنه: قبل البعثة بعشر سنين، على الصحيح، ورُبِّي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه.

وقتله: عبد الرحمن بن ملجم الخارجي في السابع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة من يوم الجمعة وله ثلاث وستون سنة على الراجح.(٢)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون على الأرجح.(٣)

---

(١) "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (٣/١٠٨٩)

(٢) " البداية والنهاية "

(٣) " تقريب التهذيب" (٢/١٩٣)

فضائله: من فضائله ما ذكره الناظم رحمه الله:«حَليفُ الخَيرِ، بالخَيرِ مُنْجِحُ »

الحليف: هو الملازم وهو ما لزم شيئًا لم يفارقه، فعلي رضي الله عنه كان ملازمًا للخير لا يفارقه.

قوله:« مُنْجِحُ » من النجاح: وهو الفوز والظفر بالمطلوب. وفي بعض النسخ « بالخير يمنح » أي: أنه رضي الله عنه يمنح الناس يعطيهم ويكرمهم، وهذا وصف له رضي الله عنه بأنه كريم جواد سخي.

ومن فضائله: أنه أول من أسلم من الغلمان، وكان ملازمًا للنبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها: أنه رضي الله عنه رجل يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لحديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فِي خَيْبَرَ وَكَانَ رَمِدًا، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللهُ فِي صَبَاحِهَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ بِالرَّايَةِ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ، وَمَا نَرْجُوهُ. فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الرَّايَةَ. فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ.[1]

ومنها: أنه رضي الله عنه شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهو زوج فاطمة رضي الله عنها، وغيرها من الفضائل.

---

[1] رواه البخاري(٣٧٠٢) ومسلم (٢٤٠٧)

تنبيـــــــــــه:

هذا البيت فيها رد على من اتهم الناظم رحمه الله بالنصب، والمراد بالنصب: نصب العداء لأهل البيت والقدح فيهم وبغض علي بن أبي طالب، فقد مدح الناظم رحمه الله علي بن أبي طالب، ووصفه بجميل الفعل والقول، وهذه التهمة التي ألصقت به كانت في حياته، وقد برأ نفسه منها، ولم يجعل من اتهمه في حِلٍّ.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ يُوْسُفَ الأَزْرَقُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بنَ أَبِي دَاوُدَ يَقُوْلُ: كُلُّ النَّاسِ مِنِّي فِي حِلٍّ إِلاَّ مَنْ رَمَانِي بِبُغْضِ عَلِيٍّ رضي الله عنه.[1]

[1] "سير أعلام النبلاء" (١٣/٢٢٩)

فضل العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم

قال الناظم رحمه الله:

« وإنَّهُمُ والرَّهْـطُ لا رَيْبَ فِيْـهِمُ ... . عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ

سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ.....وعَـامِرُ فِهْـرٍ والزُّبَيْرُ المُمَـــدَّحُ »

أي: هؤلاء الذين ذكرهم الناظم رحمه الله من الخلفاء الراشدين، وكذلك بقية العشرة كلهم مشهود لهم بالجنة.

قوله: « والرَّهْطُ » وهم عشيرة الرجل، وقبيلته الأقربون.(١) ويطلق الرهط على ما دون العشرة، وقيل: هم الجماعة من الثلاثة إلى العشرة. وفي نسخة " للرَّهْط " والذي ذكرناه لعله الأقرب.

قوله: « وإنَّهُمُ » أي: الخلفاء الراشدين « والرَّهْطُ » أي: بقية العشرة المبشرين بالجنة.

قوله: «لا رَيْبَ فِيْهِمُ» أي: لا شك في هؤلاء العشرة أنهم من أهل الجنة، فقد جاء الحديث مصرحًا بذلك، فقد جاء عند أبي داود رحمه الله (٤٦٤٩) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَخْنَسِ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ فَذَكَرَ رَجُلٌ عَلِيًّا رضي الله عنه فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «**عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ**» **قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ « سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ»**.(٢)

---

(١) "معجم الوسيط"

(٢) صححه الألباني، وجاءت أحاديث أخرى بألفاظ متقاربة

قوله:« عَلَى نُجُبٍ » أي: على نجائب الإبل، ونجائب الشيء خالصه وأفضله.

قوله: «الفِرْدَوْسِ» لغةً: البستان الجامع لكل ما يكون في البساتين، والمراد به هاهنا: الجنة لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١١].

والفردوس اسم من أسماء الجنة، قال ابن القيم رحمه الله: «ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفة من هذا الوجه وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه ... الاسم الثامن: الفردوس، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [سورة الكهف:١٠٦-١٠٨] والفردوس، اسم يقال: على جميع الجنة، ويقال: على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات».[١]

وهذا الفردوس هو أعلى الجنة وأوسطها، كما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**».[٢]

والفردوس، أفضل الجنان، وأشرفها، لقربه من عرش الرحمن.

---

(١) " تفسير القيم لابن القيم "(٢/١٦٩)

(٢) " رواه البخاري "(٧٤٢٣)

قال ابن القيم رحمه الله:« وكل ما كان أقرب إلى العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه؛ ولهذا كانت جنّة الفردوس أعلى الجنان، وأشرفها، وأنورها، وأجلّها؛ لقربها من العرش الذي هو سقفها، وكل ما بعد عنه كان أظلم وأضيق؛ ولهذا كان أسفل سافلين شرّ الأمكنة وأضيقها وأبعدها من كل خير»[1]

قوله:« فِي الخُلْدِ تَسْرَحُ » الخلد: هي الجنة، دار النعيم الذي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فهم في الجنة يسرحون ويغدون، على تلك الإبل، وهذا من أعظم النعيم.

وفي " نسخة " « بِالنُورِ تَسْرَحُ » أي: هؤلاء الذين يركبون على النجائب، هم من أهل النور، والوضاءة، والبهاء، والحسن، تسرح بهم تلك النوق حيث شاءوا.

[1] " الفوائد "(٢٨)

بقية العشرة المبشرين بالجنة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ... ..... وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ»

هؤلاء هم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، كما جاء من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبى وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»[١]

وهؤلاء العشرة قد جمعهم ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ في «الروض الباسم» في بيتين فقال:

«للمُصْطَفى خَيرُ صحبٍ نصَّ أنَّهمُ ..... فِي جنةِ الخلدِ نصًّا زَادَهُم شَرَفَا

هم طلحةُ وابنُ عوفٍ والزبيرُ مَعْ..... أَبِي عُبيدةَ والسَّعدينِ وَالخُلَفَاء»[٢]

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح، بن عبد الله بن قرط بن رزاح، بن عدى بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوى المكي المدني، أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وتُوفي وهو راض عنهم، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتزوج أخت عمر فاطمة بنت الخطاب، أسلمت هي وزوجها سعيد قبل عمر... وأسلم سعيد قديمًا، وكان من المهاجرين الأولين، وآخى رسول الله -ﷺ- بينه وبين أُبيّ بن كعب، وشهد مع النبي -ﷺ- المشاهد كلها بعد

---

[١] الترمذي(٣٧٤٧)

[٢] «الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم»(١/١٣٣)

بدر، واختلفوا في شهوده بدرًا، فقال الأكثرون: لم يشهدها لعذره، فإنه كان غائبًا عن المدينة، وضرب له النبي ﷺ بسهمه منها وأجره. وقال جماعة: شهد بدرًا. وذكره البخاري في صحيحه فيمن شهد بدرًا، وشهد اليرموك، وحصار دمشق... رُوى له عن رسول الله ﷺ ثمانية وأربعون حديثًا، اتفقا على حديثين، وانفرد البخاري بحديث». [١] اهـ بتصرف

ومن فضائل سعيد: أنه كان مجاب الدعوة، كما جاء من حديث سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، أَنَّ أَرْوَى خَاصَمَتْهُ فِي بَعْضِ دَارِهِ، فَقَالَ: دَعُوهَا وَإِيَّاهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، طُوِّقَهُ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، اللهُمَّ، إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا، قَالَ:[٢] « فَرَأَيْتُهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا». [٣]

---

[١] " تهذيب الأسماء"(١/٢١٧)

[٢] القائل هو: محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، الراوي عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.

[٣] "رواه مسلم"(١٦١٠)

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله:« وسَعْدٌ » هو ابن أبي وقاص، سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، يكنى: أبا إسحاق، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية، وهي بنت عم أبي سفيان بن حرب.(١)

مولده: ولد سعد رضي الله عنه قبل البعثة بسبع عشرة سنة.(٢)

وفاته: قال النووي رحمه الله: تُوفي سنة خمس وخمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة ست، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة ثمان وخمسين، تُوفي بقصره بالعقيق على عشرة أميال، وقيل: سبعة من المدينة، وحمل على أعناق الرجال إلى المدينة، وصُلي عليه بالمدينة، ودفن بالبقيع، وكان آدم، طوالاً، ذا هامة، ولما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف، فقال: كفنوني فيها، فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي عليَّ، وإنما كنت أخبُؤها لهذا. (٣) اهـ

فضائله: كانت لسعد رضي الله عنه فضائل عظيمة، ومناقب غزيرة، فمنها:

١. أنه رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

٢. أنه ممن شهد بدرًا وقد جاء في فضلهم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«**لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».(٤)

---

(١) "سير أعلام النبلاء"(١/ ٩٢) و "الإصابة في تميز الصحابة" (٣/ ٦٢)

(٢) "الإصابة في تميز الصحابة"

(٣) " تهذيب الأسماء "(١/ ٢١٤)

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٨٣)

٣. أنه ممن شهد بيعة الرضوان، وقد جاء في فضلهم قوله سبحانه: ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [سورة الفتح:١٨].

وجاء من حديث أُم مُبَشِّرٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**».(١)

٤. أنه رضي الله عنه ممن جمع له النبي ﷺ أبويه في التفدية أي: قوله: فداك أبي وأمي، فقد جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، يَقُولُ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ، غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».(٢)

٥. أَنَّه الرجل الصالح الذي تمناه النبي ﷺ لحراسته، فقد جاء من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: أَرِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: «**لَيْتَ رَجُلاً صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**»، قَالَتْ وَسَمِعْنَا صَوْتَ السِّلاَحِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ هَذَا؟**» قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا رَسُولَ اللهِ جِئْتُ أَحْرُسُكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ» (٣)

٦. أنه رجل مجاب الدعوة، فقد جاء من حديث سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اللهم استجب لسعد إذا دعاك**»(٤) فكان رضي الله عنه مجاب الدعوة، وأعظم شاهد على ذلك

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٦)

(٢) رواه البخاري(٢٩٠٥) ومسلم (٢٤١١)

(٣) رواه البخاري(٧٢٣١) ومسلم (٢٤١٠)

(٤) رواه الترمذي(٣٨٣٥) وصححه الألباني والوادعي في "الصحيح المسند"

ما رواه البخاري(٧٥٥) بسنده عن عَبْد المَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ «فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ»، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله: « وابْن عَوْف »

وهو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي أبو محمد.

مولده: قال المدائني: ولد عبد الرحمن بعد عام الفيل بعشر سنين، وأمه: هي الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زُهْرة.(١)

قال النووي رحمه الله: هو أبو محمد ابن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري المدني، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-عبد الرحمن، وأمه الشفاء بنت عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة. ولد بعد الفيل بعشر سنين، أسلم عبد الرحمن قديمًا قبل دخول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-دار الأرقم، وهو أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر، وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-بالجنة، وأحد الستة الذين هم أهل الشورى الذين أوصى إليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بالخلافة، وقال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تُوفي وهو عنهم راض.(٢)

وفاته: قال النووي رحمه الله: تُوفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة إحدى وثلاثين، وهو ابن ثنتين وسبعين، وقيل: خمس وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، ودفن بالبقيع. (٣) اهـ

---

(١) " سير أعلام النبلاء" (١/ ٧٤-٦٨)

(٢) " تهذيب الأسماء" (١/ ٣٠٠)

(٣) " تهذيب الأسماء"

فضائله: كانت لعبد الرحمن رضي الله عنه فضائل منها:

١. أن رسول الله ﷺ ما أتم صلاة بعد أحد من الصحابة إلا بعد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فقد جاء من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي بالناس، أراد عبد الرحمن أن يتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك، فصلى، وصلى رسول الله ﷺ بصلاة عبد الرحمن.[١]

٢. آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وفتح الله عليه فكثر ماله، فقد جاء من حديث أنس رضي الله عنه : قال: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ، فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ، بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَهْيَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: « **فَمَا سُقْتَ فِيهَا؟**» فَقَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**».[٢]

ومما يدل على كثرة ماله، ما جاء من حديث أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ :« دَخَلَ عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ قَالَ فَقَالَ: يَا أُمَّهْ قَدْ خِفْتُ أَنْ يُهْلِكَنِي كَثْرَةُ مَالِي، أَنَا أَكْثَرُ قُرَيْشٍ مَالًا، قَالَتْ :يَا بُنَيَّ فَأَنْفِقْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لَا يَرَانِي**

---

[١] جاء عند أبي يعلى، وصححه الوادعي في " الصحيح المسند" (١/ ٤٣١)

[٢] " رواه البخاري" (٣٩٣٧)

بَعْدَ أَنْ أُفَارِقَهُ»، فَخَرَجَ فَلَقِيَ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَجَاءَ عُمَرُ فَدَخَلَ عَلَيْهَا ،فَقَالَ لَهَا :بِاللَّهِ مِنْهُمْ أَنَا فَقَالَتْ لَا وَلَنْ أُبْلِيَ أَحَدًا بَعْدَكَ».(١)

❁❁❁

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله: « وطَلْحَةٌ »

قال النووي رحمه الله: هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التميمي المكي المدني، وأمه الصعبة بنت الحضرمي، أخت العلاء بن الحضرمي، أسلمت وهاجرت، واسم الحضرمي عبد الله بن عمار بن أكبر... وطلحة رضي الله عنه، أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين تُوفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وهو عنهم راض، وسماه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- طلحة الخير، وطلحة الجود، وهو من المهاجرين الأولين، ولم يشهد بدرًا، ولكن ضرب له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسهمه وأجره كمن حضر، وشهد أُحُدًا وما بعدها من المشاهد، وكان أبو بكر، رضي الله عنه، إذا ذكر أُحُدًا قال: ذلك يوم كان كله لطلحة.(٢)

مولده ووفاته: ولد قبل الهجرة بثمان وعشرين سنة، وقيل: سبع وعشرين سنة، وهذا بناءً على سِنه وقت وفاته.

---

(١) " رواه أحمد "(٢٦٤٨٩) وهو في " الصحيح المسند"

(٢) " تهذيب الأسماء" (١/٣٤٣)

وتُوفي سنة (٣٦هـ) عن (٦٤سنة) وقيل: (٦٣سنة)، رمي يوم الجمل بسهم مجهول، فأصاب ساقه، فلم يزل ينزف الدم حتى مات يوم الخميس، لعشر خلون من جمادى الآخرة.(١)

ذكر الذهبي رحمه الله: أن الذي قتله مروان بن الحكم، قال وَكِيْعٌ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: رَأَيْتُ مَرْوَانَ بنَ الحَكَمِ حِيْنَ رَمَى طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ، فَوَقَعَ فِي رُكْبَتِهِ، فَمَا زَالَ يَنْسَحُّ حَتَّى مَاتَ. اهـ(٢)

وقال الذهبي رحمه الله: وكانت وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين، وقتل بينهما نحو العشرة آلاف. ورمى مروان طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي أحد العشرة بسهم فقتله.(٣)

فضائله: أما فضائله كثيرة منها:

١. أنه كان كثير الإنفاق، ولذلك سُمي طلحة الفياض، وطلحة الخير، وطلحة الجود.

٢. أنه من المؤمنين الذين شهد الله لهم بالصدق فيما عاهدوه عليه، كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب:٢٣]. فقد جاء عن موسى بن طلحة قال: « دخلت على معاوية فقال ألا أبشرك؟ قلت: بلى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (١/٣٦-٣٥)

(٢) "السير" (١/٣٥)

(٣) "العبر في خبر من غبر" (١/٢٧)

طلحة ممن قضى نحبه » والنَّحْبُ: هو النذر والمراد: صدق فيما ألزم نفسه من قتال الأعداء.[١]

٣. قال النبي ﷺ فيه « **أوجب طلحة** ».[٢] لهوان نفسه عليه في سبيل الله، وحمايته للنبي ﷺ يوم أحد، فقد جاء عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: « رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ قَدْ شَلَّتْ[٣] »[٤]

---

[١] عند الترمذي (**٣٢٥٥**) وصححه الألباني

[٢] ذكره الوادعي رحمه الله في " الصحيح المسند" (**١/ ١٦٤**)

[٣] قال الحافظ في "الفتح"(**١/ ١٤٠**): شلت يداه أي: يبست، وهو بالفتح ولا يقال بالضم.

[٤] رواه البخاري (**٣٧٢٤**)

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله: « وَعَامرُ فِهْرٍ »

قال النووي رحمه الله: هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك، يلتقي مع رسول الله - ﷺ- في الأب السابع، وهو فهر، وأمه أم غنم أميمة بنت جابر، شهد بدرًا، وقُتل أباه يومئذ، وشهد ما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ.(١)

وفاته: قال النووي رحمه الله: تُوفي أبو عبيدة سنة ثماني عشر في طاعون عمواس، وهي قرية بالشام بين الرملة وبيت المقدس، وهي بفتح العين والميم، ونسب الطاعون إليها؛ لأنه بدأ منها، وقيل: لأنه عم الناس وتواسوا فيه، وقبر أبى عبيدة بغوربيسان عند قرية تسمى عمتا...وصلى عليه معاذ بن جبل، ونزل في قبره هو، وعمرو بن العاص، والضحاك بن قيس، وتُوفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وختم الله له بالشهادة، فإنه تُوفي بالطاعون.(٢)

فضائله: لأبي عبيدة رضي الله عنه فضائل منها:

١. وصفه النبي ﷺ بأنه أمين هذه الأمة، فقد جاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلاً يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلاَمَ قَالَ فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»(٣)

---

(١) " تهذيب الأسماء" (١/ ٢٥٩)

(٢) " تهذيب الأسماء" (١/ ٢٥٩)

(٣) "رواه مسلم" (٢٤١٩)

٢. وصف أبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمحبته للنبي ﷺ، ويدل على ذلك ما حدث في غزوة أحد، عندما أصيب النبي ﷺ في وجنته، فنزع أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأسنانه حلقتين من حلق المغفر، دخلتا في وجنة النبي ﷺ فانقلعت ثنايتاه، فحسُن ثغره بذهابهما، حتى قيل: ما رئي هتم أحسن من هتم أبي عبيدة بن الجراح[١]، مكافأة لما فعل مع النبي ﷺ.

❁❁❁

الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَالزُّبَيرُ المُمَدَحُ »

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي القرشي الأسدي المدني، يلتقي مع رسول الله -ﷺ- في قصي. وأم الزبير، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله -ﷺ-، أسلمت وهاجرت إلى المدينة. أسلم الزبير، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قديمًا في أوائل الإسلام وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل: ست عشرة، وقيل: وهو ابن ثمان سنين، وقيل: ابن ثنتي عشرة سنة، وكان إسلامه بعد إسلام أبي بكر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بقليل، قيل: كان رابعًا أو خامسًا.[٢]

مولده: ذكر العلماء: أن الزبير وعلي بن أبي طالب ولدا في سنة واحدة.

وذكر الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ إِسْحَاقُ بنُ يَحْيَى: عَنْ مُوْسَى بنِ طَلْحَةَ قَالَ كَانَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدٌ عِذَارَ عَامٍ وَاحِدٍ يَعْنِي وُلِدُوا فِي سَنَةٍ.

---

[١] الهتم هو: من انكسرت أسنان مُقَدَّم فمه من أصولها. (معجم الغني)

[٢] "تهذيب الأسماء" (١/ ١٩٤)

وَقَالَ المَدَائِنِيُّ كَانَ طَلْحَةُ والزبير وعليّ أترابًا.[١]

وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أن عليًّا ولد قبل البعثة بعشر سنين، على الصحيح.[٢]

وفاته: قتل الزبير شهيدًا يوم الجمل، بعد اعتزاله القتال في معركة الجمل، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان الزبير، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يوم الجمل قد ترك القتال وانصرف، فلحقه جماعة من الغواة، فقتلوه بوادي السباع بناحية البصرة، وقبره هناك، في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين، وكان عمره حينئذ سبعًا وستين سنة، وقيل: ستًا وستين، وقيل: أربعًا وستين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. اهـ[٣]

فائدة: الذي قتل الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو عمير بن جرموز المجاشعي، وإنما قتله ليرتفع عند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فباء بالذلة والهوان، حتى إنَّ عليًا بشره بالنار، عندما استأذن بالدخول عليه. أخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في فضائل الصحابة ج٢ ص٣٣٧: عن زر قال: استأذن ابن جرموز على علي فقال: من هذا؟ فقال: ابن جرموز يستأذن، فقال: ائذنوا له، ليدخل قاتل الزبير النار، إني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « **إن لكل نبي حواريا، وإن حواري الزبير** ».[٤]

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: عمير بن جرموز المجاشعي قاتل حواري رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قتله تقرباً بذلك إلى علي، وقال لما جاء يستأذن عليه بشر قاتل الزبير بالنار، فندم وسقط في

---

(١) " السير " (١/ ٤٤)

(٢) " الإصابة في تميز الصحابة " (٤/ ٤٦٤)

(٣) " تهذيب الأسماء " (١/ ١٩٦)

(٤) وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٤٦١)

يده، وبقي كالبعير الأجرب، كل يتجنبه ويهول عليه ما صنع، ورأى منامات مزعجة. ولما ولي مصعب بن الزبير إمرة العراق خافه ابن جرموز، ثم جاء بنفسه إلى مصعب وقال: أقدني بالزبير، فكاتب أخاه ابن الزبير في ذلك، فكتب إلى مصعب: أنا أقتل ابن جرموز بالزبير ولا بشسع نعله أقتل أعرابياً بالزبير، خل سبيله، فتركه، فكره الحياة لذنبه، وأتى بعض السواد، وهنالك قصر عليه زج فأمر إنساناً أن يطرحه عليه، فطرحه عليه فقتله. اهـ[١]

فضائله: قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:«وَالزُّبَيرُ المُمَدَحُ »

قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: « الممدح: أي المتصف بالخصال التي يمدح بها، ويحمد عليها، إشارة إلى كثرة مناقبه، وغزير مزاياه. »[٢]

والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له مناقب غزيرة، منها:

١. أنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

٢. أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حواري النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحواري: الناصر والصاحب الخالص، فقد جاء من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ**».[٣]

٣. أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل شجاع، لا يشق له غبار، فلقد ربته أمه صفية بنت عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، على الشجاعة، والفروسية، فعرف بذلك، حتى إنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يَوْمَ

---

[١] " تاريخ الإسلام " (٥/٤٩٩)

[٢] " لوائح الأنوار " (٢/٥٩)

[٣] رواه البخاري (٣٧١٩)

الأَحْزَابِ: « **مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ** » فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ**». فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».[١] وهذا يدل على شجاعته.

٤. أنه رضي الله عنه ممن جمع له النبي ﷺ يوم الخندق أبويه في التفدية، فقد جاء من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ، عَلَى فَرَسِهِ، يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ؟ قَالَ: أَوَهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: « **مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ** ». فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».[٢]

---

[١] رواه البخاري (٤١١٣)

[٢] رواه البخاري(٣٧٢٠) ومسلم (٢٤١٦)

فضل الصحابة رضي الله عنهم

قال الناظم رحمه الله:

« وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِم ..... ولا تَكُ طَعَّاناً تَـعِيْبُ وَتَجــْرَحُ

فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبينُ بِفَضْلِهِمْ .....وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَح »

أي: وقل أيها السلفي المتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ خيرًا، في صحابة رسول الله ﷺ؛ لأنهم أصحاب الفضيلة، وهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه.

فقد جاء من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه« قال إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ»[(١)]

والصحابي: هو من لقي رسول الله ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك، ولو تخللته ردة على الصحيح.[(٢)]

قوله:« في الصَّحَابةِ كُلِّهِم »

ليكن قولك: في كل الصحابة خيرًا، فلا تمدح بعضًا، وتذم آخرين، كما يفعل الرافضة.

---

(١) رواه الإمام أحمد وحسنه الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند "(١/ ٤١٤)

(٢) ذكره ابن حجر في " الإصابة" (١/ ١٣٠) " نزهة النظر" (١/ ١١١)

فالصحابة قد رضي الله عنهم كلهم بلا استثناء، قال تعالى: ﴿* لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح:١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة:١٠٠].

قوله:« ولا تَكُ طَعَّاناً تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ » يُحذِّرُ الناظم رحمه الله المتمسك بالدين، وبسنة خير المرسلين، من الطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر معايبهم؛ فإن من طعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو سبهم يُعَدُّ كافرًا، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا.

قال الذهبي رحمه الله: وهو يتكلم في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنائه عليهم، وفضائلهم ومناقبهم وحبهم؛ ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور، والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، هذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته».[١]

---

[١] " الكبائر " (٢٣٨)

وقال الآجري رحمه الله: قال محمد بن الحسين رحمه الله:« لقد خاب وخسر من سب أصحاب رسول الله ﷺ لأنه خالف الله ورسوله، ولحقته اللعنة من الله عز وجل ومن رسوله ومن الملائكة ومن جميع المؤمنين، ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، لا فريضةً ولا تطوعًا، وهو ذليل في الدنيا، وضيع القدر، كثر الله بهم القبور، وأخلى منهم الدور»[١]

قال يحيى بن معين رحمه الله:« وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. »[٢]

قوله:« طَعَّاناً » أي: كثير الطعن؛ لأن طعان على وزن فعال وهي من صيغ المبالغة.

قوله:« تَعِيْبُ» أي: تظهر عيوب الصحابة، وتتنقص فيهم، فالصحابة ليْسوا بمعصومين، فقد يقع أحدهم بالذنب والله يغفره لهم بالتوبة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:« وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة، ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله تعالى يغفر لهم بالتوبة، ويرفع بها درجاتهم، ويغفر لهم بحسنات ماحية، أو بغير ذلك من الأسباب ».[٣]

فبعض الطوائف المنحرفة عن الصراط المستقيم تظهر من عيوبهم، وتتنقصهم، وتسبهم، خاصةً " الروافض "-قبحهم الله-والنبي ﷺ قد نهى عن ذلك، فقد جاء عن

---

[١] " الشريعة " (٥/٢١٦)

[٢] تاريخ بغداد (٣/٢٢٧)

[٣] كما في " مجموع الفتاوى " (٣٥/٦٩)

أبي سعيد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « **لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**».(١)

قوله:« وَتَجْرَحُ » الجرح بالفتح: هو التأثير في الجسم بالسلاح.(٢)

والجُرح بالضم: هو اسم للجرح.(٣)

تقول: فلان جرَّح فلانًا أي: سبه وشتمه، وقولك: جرَّح الحاكم الشاهد أي: أسقط عدالته، وقد تأتي بمعنى الكسب كما في التنزيل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [سورة الأنعام:٦٠].

والمقصود بالجَرح هنا: هو السب والشتم، أي: لا تسب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. ومعلوم أن سب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يُعدُّ كفرًا، وقد نهى الصحابة عن ذلك كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه قال «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً**».(٤)

قوله:« فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ » "قد" هنا للتحقيق، « نَطَقَ الوَحْيُ » هذا كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٦٢].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١)

(٢) "لسان العرب" (٢/٤٢٢)

(٣) " تاج اللغة وصحاح العربية"(١/٣٥٨)

(٤) رواه أحمد " في فضائل الصحابة " وحسنه الألباني

قوله:« الوَحْيُ » هو القرآن الكريم المنزل على نبينا ﷺ، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام:١٩]. وقال ﷻ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة يوسف:٣]. وقال: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة فاطر:٣١]. وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى:٧]. وقال:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [سورة الكهف:٢٧].

قوله:« الوَحْيُ المُبِينُ »قال السفاريني رحمه الله: أي: الواضح الكاشف، والمظهر لسائر الأحكام، والنصائح، والمناقب، والمثالب، والمآثر، والفضائح، فنطق بفضلهم، وبرهن عن حسن قصدهم، واستقامة فعلهم.(١)

(١) "لوائح الأنوار" (٢/٩٤)

فالقرآن الكريم الواضح البين، نطق بفضل الصحابة، وحسن سيرتهم، بل كم من آية في القرآن وهي تمدح صحابة رسول الله ﷺ، ومن ذلك الذي ذكره الناظم رحمه الله، وأشار إليه بقوله:« وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَح »

أشار الناظم رحمه الله على أن القرآن مليء بالآيات الدالة على فضل الصحابة، ومن هذه الآيات ما ذكر في سورة " الفتح "، وتأمل إلى قول الناظم رحمه الله: « وفي الفَتْحِ آيٌ » أي: في سورة " الفتح " آيات، ولم يقل: آية؛ لأن سورة " الفتح " مشتملة على مواضع كثيرة، فيها تمدح الصحابة، وتبين فضلهم، فإذا تأملت من أولها إلى آخرها تجد أنها تمدح هؤلاء الرجال، قال الله فيها: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة الفتح:٤].

ثم ذكر سبحانه بعدها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح:١٠].

ثم ذكر سبحانه: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح:١٨]. ثم ذكر سبحانه: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ

وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [سورة الفتح:٢٦-٢٧].

ثم يختم ربنا سبحانه هذه السورة في مدحهم كذلك فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

بل هذه الآية الأخيرة فيها وصف بديع لصحابة رسول الله ﷺ، حيث وصفهم بالشدة على الكفار، والغلظة عليهم، ووصفهم بالرحمة والرأفة واللين فيما بينهم، ونظير هذه الآية قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المائدة:٥٤].

ومع هذه المحبة للإسلام، والبغض والعداوة والكراهية لأهل الأوثان، وصفهم ربنا سبحانه بأنهم في عبادة وطاعة، يطلبون الفضل والرضوان من الله، وهذا دليل على إخلاصهم، وبهذا الوصف ذكر مثلهم في التوراة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ

أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

وأما مثلهم في الإنجيل فهو ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

صفتهم كصفة زرعٍ أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، واشتد الزرع فقوى، واستوى قائمًا على سيقانه، جميلاً منظره.

قال ابن كثير رحمه الله: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله في رواية عنه: بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. اهـ[١]

قال السفاريني رحمه الله: بعد أن ذكر قول مالك: وهو مأخذ دقيق يشهد له ظاهر الآية.[٢]

خلاصة البيتين:

أن الإنسان يكون قوله خيرًا في صحابة ﷺ، وهذا القول الحسن الجميل يكون في جميع الصحابة رضي الله عنهم، لا في بعضهم دون بعض، فالصحابة لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، ومن طعن فيهم أو سبهم أو تنقص منهم أحدًا، فهذا يُعدُّ منافقًا

---

[١] "تفسير ابن كثير" (١٩/٤)

[٢] "لوائح الأنوار" (١٠٢/٢)

كافرًا، نعوذ بالله من سوء الحال، والله قد تكلم في كتابه المبين الواضح بفضل صحابة رسول الله ﷺ، وما لهم من الفضل والمنزلة عنده، وخاصةً في سورة " الفتح ".

الإيمان بالقدر

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وبِالقَدَرِ المقْدُورِ أيْقِنْ فإنَّهُ... ... ... دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ »

قوله:« وبِالقَدَرِ المقْدُورِ » قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: القدر: وهو الأمر الذي قضاه الله وحكم به من الأمور، وهو مصدر قدر يقدر قدرًا، وقد تسكن داله، و " أل " في القدر والقضاء عوض عن المضاف إليه أي: بقدر الله.(١)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريف القدر: فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته .اهـ(٢)

فائدة:

القدر قد يطلق ويراد به التقدير، والدليل على ذلك ما جاء من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: « **كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** ».(٣)

أي: تقدير الله لمقادير الأشياء.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في " شرحه لهذا الحديث ": قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ، أو غيره، لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له.

وقد يراد بالقدر الشيء المقدر، فإذا أصيب الإنسان في ماله مثلاً، يقول: هذا قدر أي: مقدر قد قدره الله تعالى، وقد جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) " لوائح الأنوار "

(٢) " شفاء العليل " (١/ ٢١٥)

(٣) " رواه مسلم " (٢٦٥٣)

«...وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » [١]

قوله:« المَقْدُورِ » قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: الصادر عن المعبود تعالى مقدرًا حكمًا.[٢]

مسألة: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

يقولون: في القضاء والقدر، إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر... والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله عز وجل ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [سورة فصلت:١٢]. أي خلقهن ...وجماع القول في هذا الباب أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.[٣]

فالقضاء والقدر إذا أفرد أحدهما على الآخر اشتمل على ما يدل عليه الآخر، وإن قرن أحدهما بالآخر، صار معنى القدر: الدلالة على علمه سبحانه بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها.

وصار معنى القضاء: الدلالة على مشيئته سبحانه، وخلقه سبحانه للأشياء وفق ما سبق به العلم، وجرى به القلم.

---

[١] "رواه مسلم " (٢٦٦٤)

[٢] " لوائح الأنوار " (٢/١١٤)

[٣] "معالم السنن": (٤/٣٢٣-٣٢٢)

وقد وضح هذا الكلام الشيخ العلامة محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ على سبيل المثال في كتابه " أضواء في طريق الدعوة " فقال: والقضاء والقدر بمنزلة الثوب الذي يقدره الخياط، فهو قبل أن يفصله يقدره ويزيد ويوسع ويضيق، وإذا فصله فقد قضاه، ولا يمكنه أن يزيد أو ينقص، وذلك مثل القضاء والقدر .اهـ

قوله:« أَيْقِنْ » أي: اعلم غير شاك ولا مرتاب بالقدر خيره وشره حلوه ومره.

فالقدر يعتبر أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح إيمان العبد إلا بها :«**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».(١)

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على الإيمان بالقدر، فأكتفي في هذه الرسالة المختصرة على ذكر أية واحدة، وحديث.

أما من الكتاب فقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر:٤٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في " تفسير هذه الآية " ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها.

وأما من السنة: حديث عمر بن الخطاب المتقدم ذكره «**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

وجاء عَنْ طاووس، أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ**»(٢)، وغيرها من الأحاديث الدالة على وجوب الإيمان بالقدر.

---

(١) حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في " مسلم " (٨)

(٢) " مسلم " (٢٦٥٥)

وأما الإجماع: فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [سورة الحجر: ٢١].(١)

فيجب على العبد أن يؤمن بالقدر خيره وشره، ولا يكون العبد مؤمنًا حتى يؤمن بالقدر. فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَآمَنَ بِالْقَدَرِ، فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، نَقْضَ التَّوْحِيدَ.(٢)

وقال الحسن البصري رحمه الله: مَنْ كَفَرَ بِالْقَدَرِ، فَقَدْ كَفَرَ بِالْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا، فَخَلَقَهُمْ بِقَدَرٍ، وَقَسَمَ الْآجَالَ بِقَدَرٍ، وَقَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ بِقَدَرٍ، وَالْبَلَاءُ بِقَدَرٍ، وَالْعَافِيَةُ بِقَدَرٍ.(٣)

❖ ولا يتم إيمان العبد بالقدر حتى يؤمن بأربع مراتب، وهي مجموعة في بيت واحد:

علمٌ كتابةُ مولانا مشيئتُهُ وخلقُهُ وهْوَ إيجادٌ وتكوينُ

المرتبة الأولى: العلم: فيؤمن العبد أن الله سبحانه وسع علمه كل شيء، فيعلم ما كان ويعلم ما سيكون، وما لم يكن إذا كان كيف يكون.

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة منها:

---

(١) " فتح الباري "(١١/٤٧٨)

(٢) "القدر للفريابي" (١٤٣)

(٣) " القدر للفريابي" (١٨٨)

قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأنعام:٥٩]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة:٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢٣].

المرتبة الثانية: الكتابة: وهي الإيمان بأن الله قد كتب مقادير الخلائق، وكتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وقد دل على هذه المرتبة الأدلة من الكتاب والسنة **فمنها**:

قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج:٧٠]. وقوله سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يونس:٦١]. وقوله سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [سورة القمر:٥٢-٥٣].

ومن السنة: حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: « **كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** ».(١)

المرتبة الثالثة: المشيئة: وهي الإيمان بأن الله سبحانه لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بمشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس:٨٢]. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة الإنسان:٣٠]. ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [سورة المدثر:٥٥-٥٦].

وحديث عُبَادَةَ بْن الصَّامِتِ رضي الله عنه وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: « **بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ ،وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ**» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.(٢)

---

(١) أخرجه " مسلم " (٢٦٥٥)

(٢) أخرجه البخاري(١٨)

المرتبة الرابعة: الخلق: وهو الإيمان بأن الله خالق كل شيء، فما من شيء في الوجود إلا والله خالقه، وموجده، فلا خالق غيره، ولا رب سواه.

قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام:١٠٢]. وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الزمر:٦٢]. وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة غافر:٦٢].

وحديث أَنَس بْن مَالِكٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ**».(١)

وحديث حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ « **إِنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصِنْعَتَهُ**».(٢)

فهذه المراتب الأربع التي لا يصح إيمان أحد بالقدر حتى يؤمن بها، فمن أنكر واحدة منها فهو خارج من مذهب أهل السنة والجماعة.

قوله:« فإنَّهُ دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ » الدِعامة: بكسر الدال هي عماد البيت الذي يقوم عليه.

والعِقد: بكسر العين هي القلادة، فصور الناظم رحمه الله أن هذا الدين عبارة عن عقد منتظم، فيه أمور كثيرة، وله أعمدة ودعائم، ومن جملة هذه الأعمدة لهو الإيمان بالقدر؛ إذْ هو الأصل السادس والركن السادس من أركان الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩٦)

(٢) وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رحمه الله(١/١٤٣)

قوله:« والدينُ أَفْيَحُ » الدين المراد به دين الإسلام، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران:١٩]. وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:٨٥].

قوله:« أَفْيَحُ » أي واسع، فدين الإسلام واسع شامل، ولهذا امتاز على غيره من الأديان بأوصاف كثيرة منها: ١-الشمول ٢-الكمال ٣-البقاء

ولهذا قال بعضهم:

إنَّ الشُّمــولَ والكمـــالَ والبقـــاء مميزات ديننـــا دين النقـــاء

فديننا ولله الحمد واسع شامل، فيه أعمال كثيرة، وعبادات، وطاعات، ولكن لا يقوم هذا الدين إلا بالأعمدة تثبته وتقويه، ومن الأعمدة الإيمان بالقدر.

مسألة مهمة: لا بد أن تذكر في باب الإيمان بالقدر وهي: (أنَّ الأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر).

فمن تمام الإيمان بالقدر فعل الأسباب، لقوله ﷺ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**».[1]

فأمرهم النبي ﷺ في هذا الحديث بالعمل والأخذ بالأسباب، فالأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، وكذلك لا ينافي التوكل، فلابد من الأخذ بالسبب ثم التوكل، كما

---

[1] أخرجه البخاري (٧٥٥٢) من حديث علي رضي الله عنه.

جاء من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: « **اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ** ».[١]

وكان هذا معروف عند السلف، يؤمنون بالقدر، ويأخذون بالأسباب، ولهذا قَالَ رجل للإمام أَحْمَد بْن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: أريد أن أخرج إِلَى مكة عَلَى التوكل من غير زاد، فَقَالَ لَهُ أَحْمَد: فاخرج فِي غير القافلة قَالَ: لا، إلا معهم، قَالَ: فعلى جراب الناس توكلت.[٢]

---

[١] حسنه الألباني.

[٢] تلبيس إبليس (١٣١)

معتقد أهل السنة والجماعة في القدر

يعتقد أهل السنة والجماعة وجوب الإيمان بالقدر؛ لأنه أحد أركان الإيمان، ولا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره.

ويعتقدون أن الله خالق لأفعال العباد، والدليل قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات:٩٦].

ويعتقدون أن للعبد إرادة ومشيئة، ومشيئته تابعة لمشيئة الله والدليل قوله ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة التكوير:٢٨-٢٩].

ويعتقدون أن الشر من قدر الله، ولا ينسب إلى الله، وبعضهم يقولون: إنَّ الشر فيما يبدوا للناس أنه شر وهو خير لهم مثل المرض وغيره، والله أعلم.

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الهداية والإضلال من الله، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بعدله، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له.

وأن الهدى والإضلال قدره سبحانه، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه، والدليل قوله ﷻ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الأنعام:٣٩].

وغيرها من الأدلة الدالة على هذا الأمر.

الطوائف المخالفة لأهل السنة في باب القدر

الطائفة الأولى: القدرية.

وهم على مرتبتين: المرتبة الأولى:

القدرية الغلاة: نفاة العلم والكتابة: وهم أتباع معبد الجهني وهو من أول من قال بنفي القدر، وأن الأمر أنف أي: لا يعلم الله بالأمر إلا بعد وقوعه، ولا يعلم بفعل العبد إلا بعد فعله، والعياذ بالله.

وهذا القول ظهر في زمن الصحابة، وأنكر الصحابة رضي الله عنهم عليهم، فقد جاء عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ :أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي» وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» [1]

وكذلك أنكر عليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وغيرهم من الصحابة، واشتد إنكارهم عليهم، وتبرؤوا منهم، ومن بدعتهم.

---

[1] رواه مسلم (٨)

وأصحاب هذا القول كفرهم أهل العلم، بل اتفق السلف على كفرهم، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.

وأصحاب هذا القول قد انقرضوا – ولله الحمد–ولم يبقَ في الأمة من يقول بقولهم، كما ذكر هذا جمع من العلماء منهم القرطبي، والنووي، والسفاريني.

المرتبة الثانية: القدرية النفاة: هؤلاء أثبتوا العلم والكتابة، ونفوا الخلق والمشيئة عن الله سبحانه، وأثبتوا للعباد كامل القدرة والمشيئة، وهؤلاء هم الذين تبنى المعتزلة مذهبهم، وانتصروا له وانتشر على أيديهم، فنسبوا إليهم فقيل: "المعتزلة القدرية" أو " قدرية المعتزلة"، وهؤلاء مع ضلالهم وانحرافهم، لم يكفرهم الأئمة بمقالتهم، بل بدعوهم وضللوهم، وحذروا منهم، ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَهُمْ مُبْتَدِعُونَ ضَالُّونَ لَكِنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَنْزِلَةِ أُولَئِكَ؛ وَفِي هَؤُلَاءِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ كُتِبَ عَنْهُمْ الْعِلْمُ.(١)

فائــدة: أول من أحدث الكلام في القدر.

قيل: هو معبد الجهني، وقيل هو رجل نصراني يُسمى « سنسويه» أو « سوسن ».

قال ابن عون: أدركت الناس وما يتكلمون إلا في علي وعثمان حتى نشأ هاهنا حقير يقال له: سنسويه البقال قال: فكان أول من تكلم في القدر.

قال حماد رحمه الله: ما ظنكم برجل يقول له ابن عون هو حقير.(٢)

---

(١) كما في " مجموع الفتاوى"(٧/ ٣٨٥)

(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي(١/ ٧٤٩)

فالذي يظهر أن أول من تكلم في القدر، وفي هذه البدعة، هو « سنسويه» أو « سوسن» ثم بعده معبد الجهني.

قال الأوزاعي رحمه الله: أول من نطق بالقدر: رجل من أهل العراق يقال له: سوسن، وكان نصرانيا فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد.(١)

إذن لقد كان لهؤلاء الثلاثة الأثر الكبير في ظهور هذه البدعة في الإسلام:

١. سنسويه أو سوسن الأسواري أول من أحدث هذه البدعة.

قال ابْنُ عَوْنٍ: " أَمْرانِ أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَلَيْسَ فِيهِمْ مِنْهَا شَيْءٌ: كَلاَمُ هَذِهِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ سَنْسَوَيْهِ بْنُ يُونُسَ الْأُسْوَارِيُّ وَكَانَ حَقِيرًا صَغِيرَ الشَّأْنِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ مَعْبَدٌ وَتَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ كَذَا فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ الْقَائِلُ يَقُولُ: إِنَّ مَعْبَدًا لَيَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مَا نَدْرِي مَا هُوَ ثُمَّ رَفَضَ.(٢)

٢. معبد الجهني، وهو الذي أخذ هذه البدعة من سنسويه، وأشهرها، وعُرف بها، كما في حديث عمر رضي الله عنه، وكان معبد صاحب عبادة، وزهد، ولذلك انتشرت هذه البدعة على يده؛ بسبب عبادته وزهده وسمته، ولذلك ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله: عن الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ: إِيَّاكُمْ وَمَعْبَدًا فَإِنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ، وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَعَاقَبَهُ الْحَجَّاجُ عُقُوبَةً عَظِيمَةً بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ ثُمَّ قَتَلَهُ.

---

(١) "الشريعة للآجري" (١١٧/٢)

(٢) " القدر للفريابي" (٢٢٦)

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ: بَلْ صَلَبَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ بِدِمَشْقَ ثُمَّ قَتَلَهُ، وَقَالَ خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ: مَاتَ قَبْلَ التِّسْعِينَ فاللَّه أعلم، وقيل: إنَّ الأقرب قَتْلُ عبد الملك له وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.(١)

٣. غيلان القبطي الدمشقي أبو مروان، أخذ بدعته من معبد الجهني، وكان صاحبا له، وكان غيلان ذا عبادة، وتأله، وفصاحة، وبلاغة.(٢)

عن حسان بن عطية أنه قال: يا غيلان، والله لئن كنت أعطيت لساناً لم نعطه، إنا لنعرف باطل ما جئت به.(٣)

وقد ناظر الأوزاعي غيلان الدمشقي، بحضرة هشام بن عبد الملك، فانقطع غيلان ولم يتب.

قال الذهبي رحمه الله: غيلان القدري أبو مروان، صاحب معبد الجهني. ناظره الأوزاعي بحضرة هشام بن عبد الملك، فانقطع غيلان، ولم يتب. وكان قد أظهر القدر في خلافة عمر بن عبد العزيز، فاستتابه عُمَر رضي الله عنه، فقال: لقد كنت ضالاً فهديتني، وقال عمر: اللهم إن كان صادقاً، وإلا فاصلبه واقطع يديه ورجليه، ثم قال: أمن يا غيلان، فأمن على دعائه...، ثم نفذت فيه دعوة الإمام الراشد عمر بن عبد العزيز، فأخذ وقطعت أربعته وصلب بدمشق في القدر، نسأل الله السلامة.(٤)

---

(١) "البداية والنهاية" (٩/٣٤)

(٢) "تاريخ الإسلام"(١٢/١١٤)

(٣) " تاريخ الإسلام "(١٢/١١٤)

(٤) " تاريخ الإسلام " (١٢/١١٤)

الطائفة الثانية:

الجبرية: وهم الجهمية ومن وافقهم، وهؤلاء نفـــوا عن العباد القدرة، والاختيار، والمشيئة، وقالوا: أن الله أجبر العباد على المعاصي، وأضافوا الأفعال كلها من خيرها وشرها إلى الله.

أول من أظهر القول بالجبر.

أول من أظهر القول بالجبر هو الجهم بن صفوان، وقد كان هذا المبتدع قد جمع بين ضلالتين، وهما :١-تعطيل صفات الله.

٢-القول بالجبر أي: أن الله هو الذي يجبر العبد على فعله.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وَأَوَّلُ مَنْ ظَهَرَ عَنْهُ إنْكَارُ ذَلِكَ هُوَ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَأَتْبَاعُهُ فَحُكِيَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: إنَّ الْعَبْدَ مَجْبُورٌ وَإِنَّهُ لَا فِعْلَ لَهُ أَصْلاً.[١]

[١] كما في " مجموع الفتاوى " (٨/ ٤٦٠)

الحث على الإيمان باليوم الآخر

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« وَلا تُنْكِرَنْ جَهلاً نَكِيرًا ومُنْكَرًا .....وَلا الحَوْضَ والمِيزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ»

أشار الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا البيت، والأبيات التي بعده، إلى الإيمان بركن عظيم من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر، وبما فيه من أهوال وأمور عظام.

واكتفى الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر بعض ما في اليوم الآخر على سبيل الاختصار، فذكر منكرًا ونكيرًا، وعذاب القبر، والحوض، والميزان، وإخراج أهل الإيمان من أصحاب الكبائر من النار، وهذا يدل على وجوب الإيمان بما ذكر، وبما لم يذكر، لأنه لا يصح إيمان من العبد حتى يؤمن باليوم الآخر وما فيه.

فقوله:« وَلا تُنْكِرَنْ جَهلاً » أي: لا تجحد ولا تنكر شيئًا من اليوم الآخر؛ بسبب جهلك وعدم معرفتك.

وقد يقال: لا تنكر الشيء الذي تجهله من أهوال يوم القيامة، بل يجب عليك الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم:٣-٤].

قوله: « نَكِيرًا ومُنْكَراً » اسم للملكين الموكلين بفتنة الميت في قبره، وهما ملكان من ملائكة الله، وصفهم النبي ﷺ بأنهم سود الوجوه زرق العيون. فقد جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا**

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاَعُهُ، فَلاَ يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ »[١]

وكذلك يُسمى منكر ونكير بالفتانين، ويطلق عليهما ملائكة السؤال، فقد جاء من حديث سَلْمَانَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ».[٢]

سبب تسمية منكر ونكير بهذا الاسم

قالوا: لأن في صورتهما نكارة، قال الحكيم الترمذي رحمه الله: فإنما سميا فتاني القبر؛ لأن في سؤالهما انتهارا، وفي خلقهما صعوبة، ألا ترى أنهما سميا منكرًا ونكيرًا فإنما سميا بذلك؛ لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق طير، ولا خلق البهائم، ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما، خلقهما الله تعالى مكرمة للمؤمنين، وتبصرة وهتكا لستر المنافق في البرزخ، من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب.[٣]

---

[١] رواه الترمذي (١٠٧١) وصححه الألباني

[٢] رواه مسلم (١٩١٣)

[٣] " نوادر الأصول في أحاديث الرسول " (١٤٨/٣)

فائدة: هذه التسمية ليس لأنهما منكران من حيث ذواتهما؛ ولكنهما منكران من حيث أن الميت لا يعرفهما، وليس له بهما علم سابق، وقد قال إبراهيم عليه السلام لأضيافه ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [سورة الحجر:٦٢]. لأنه لا يعرفهم، ومنكر ونكير لأنهما غير معروفين للميت.

فالحاصل: أنهما سُميا بمنكر ونكير؛ لأنهما يأتيان على صورة منكرة لم يعهدها الإنسان، وليس فيهما أُنْسٌ للناظرين، وسُميا بالفتانين؛ لأنهما يفتنان الناس في قبورهم.

وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على أن العبد يُفتن في قبره، فيُسأل عن ربه، ومعتقده، منها في الصحيحين ومنها خارج الصحيحين.

إثبات الحوض

قوله:« وَلا الحْوضَ » قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا تنكرن أيضا جهلاً، وعنادًا، وسفهًا، وإلحادًا، « الحوضَ » وأل فيه للعهد، وبدلاً عن الإضافة أي: حوض النبي المصطفى نبينا محمد ﷺ، فإنه حق ثابت بإجماع أهل الحق، وسنده من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [سورة الكوثر: ١].(١)

تعريف الحوض: **لغةً**: هو مجمع الماء، والجمع أحواض، وحياض.(٢)

شرعا: هو حوض حقيقي مخلوق يكون في الموقف يوم المحشر، يُصب ماؤه من الكوثر، طوله وعرضه واحد، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وريحه أطيب من المسك، ومذاقه أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، يرده من شاء الله من أهل التوحيد، من أمة النبي ﷺ.(٣)

فائدة: الأحاديث الواردة في إثبات الحوض متواترة.

قال الشاعر:

مِمَّا تَواتَرَ حَديثُ مَن كَذَبْ === وَمَنْ بَنَى للهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبْ

وَرُؤْيَةٌ شَفَاعَةٌ وَالحَــوْضُ === وَمَسْحُ خُفَّينِ وَهَذِي بعضُ

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال القرطبي في " المفهم ": تبعا للقاضي عياض في غالبه مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به، أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمدًا ﷺ

---

(١) " لوائح الأنوار " (٢/ ١٦٤)

(٢) "لسان العرب "(٧/ ١٤١)

(٣) قاله النووي في " شرح مسلم " والقرطبي في " التذكرة"

بالحوض، المصرح باسمه، وصفته، وشرابه، في الأحاديث الصحيحة الشهيرة، التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك، مما صح نقله، واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا.(١)

قال ابن أبي العز رحمه الله: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تَبْلُغُ حَدَّ التواتُرِ، رواها من الصحابة بِضْعٌ وثلاثونَ صحابياً، رضي الله عنهم.(٢)

من الأحاديث الواردة في الحوض

ما جاء من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**»، قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.(٣)

وجاء من حديث أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْرٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: أَمَا**

---

(١) " الفتح "(٣٦٧/١١)

(٢) " شرح الطحاوية " (٢٢٧)

(٣) " رواه البخاري " (٤٠٤٢)

شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ » قَالَ: فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا». (١)

وحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا، مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ**». (٢)

وجاء من حديث أبي برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ عَرْضُهُ كَطُولِهِ فِيهِ مِيزَابَانِ يَنْثَعِبَانِ مِنْ الْجَنَّةِ مِنْ وَرِقٍ وَالْآخَرُ مِنْ ذَهَبٍ أَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ وَأَبْرَدُ مِنْ الثَّلْجِ وَأَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ فِيهِ أَبَارِيقُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ**». (٣)

وغيرها من الأحاديث كثيرة معلومة، وقد اقتصرت على هذه الأحاديث خشية الإطالة، فيجب الإيمان بالحوض، وإثباته من غير تأويل وتحريف، وهذا الذي عليه سلف الأمة، يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: أحاديث الحوض صحيحة، والايمان به فرض، والتصديق به من الايمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه. قال القاضي وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة. (٤)

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٣) ومسلم (٢٧)

(٢) رواه البخاري ومسلم ((٢٢٩٩)

(٣) رواه أحمد (١٩٨٤) وصححه الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب "

(٤) " شرح مسلم للنووي " (٥٧/٧)

❖ هذا الحوض من شرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا، فقد جاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**».[١]

❖ وهذا الحوض يُذاد عنه أهل البدع والأهواء والمحدثات، نسأل الله العافية والسلامة والثبات على الدين، فقد جاء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[٢]

وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ**».[٣]

---

(١) " رواه مسلم " (٢٣٠٠)

(٢) " رواه البخاري " (٦٥٧٦)

(٣) "رواه البخاري " (٦٥٨٧)

فائدة: وقد استدل الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ بمثل هذه الأحاديث أن البدع مانعة من شفاعة النبي ﷺ وقال: ويظهر من أول الحديث، أن ذلك الارتداد لم يكن ارتداد كفر، لقوله: « **وإنه سيؤتى برجال من أمتي**» ولو كانوا مرتدين عن الإسلام، لما نسبوا إلى امته، ولأنه عليه السلام أتى بالآية وفيها: ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة المائدة:١١٨]. ولو علم النبي ﷺ أنهم خارجون عن الاسلام جملة، لما ذكرها لأن من مات على الكفر لا غفران له البتة، وإنما يرجى الغفران لمن لم يخرجه عمله عن الإسلام، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء:١١٦].[١]

ذكر الشاطبي هذا الكلام تحت حديث « لم يزالوا مرتدين على أعقابهم »

ومعلوم لدينا أنه ارتد بعد موت النبي ﷺ من ارتد من العرب، أما من الصحابة فلم يرتدَّ منهم أحد، والله أعلم.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب، ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين.[٢]

❖ وكذلك يُذاد عن الحوض من أطاع الأمراء في المعاصي.

فقد جاء من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ خرج علينا رسول الله ﷺ أو دخل ونحن تسعة وبيننا وسادة من أدم فقال:« **إنها ستكون بعدي أمراء، يكذبون،**

---

[١] " الاعتصام " (١/ ١٢٠)

[٢] " الفتح " (١١/ ٣٨٥)

ويظلمون، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس بوارد عليَّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ويعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه وهو وارد عليَّ الحوض». [١]

فائدة: أنكر الحوض الخوارج، والمعتزلة، فقالت المعتزلة: الحوض عبارة عن الرضا والرضوان، يتفضل الله به على من يشاء من عباده. السفاريني" لوائح الأنوار " (٢/١٧٣)

[١] " رواه الترمذي " وصححه الوادعي في " الصحيح المسند "(٢/٣٢)

مسائل متعلقة في باب الحوض

المسألة الأولى: حوض النبي ﷺ مخلوق، وموجود الآن، لقول النبي ﷺ: « **وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن** ».[١]

قال النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: هذا تصريح بأن الحوض حوض حقيقي على ظاهره، كما سبق وأنه مخلوق موجود اليوم.

المسألة الثانية: جاءت عدة ألفاظ في تحديد طول الحوض، وعرضه، تارة بقوله ﷺ «**ما بين عمان إلى أيلة** »[٢] وتارة يقول ﷺ: « **أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح**[٣]».[٤]

فالحوض عرضه مثل طوله، كما قال النبي ﷺ في حديث أبي ذر عند " مسلم "، وإنما كان يخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها.

قال القرطبي رحمه الله" التذكرة " (٣١٠): ظن بعض الناس أن هذه التحديات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة، مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: «ما بين أذرح وجرباً»، ولأهل اليمن:

---

[١] رواه البخاري (١٣٤٤) ومسلم (٢٢٩٦)

[٢] تقدم تخريجه، **وأيلة**: بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام. "معجم البلدان" (١/ ٢٩٢)

[٣] الجرباء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز وهي قرية من أذرح، وأذرح: وهو اسم بلد في أطراف الشام. "معجم البلدان" ١/ ١٢٩و٢/ ١٨٨) وقال ابن الأثير في "النهاية"(١/ ٧٢٠): هما قريتان بالشام، بينهما ثلاث ليال.

[٤] رواه البخاري بهذا اللفظ (٦٥٧٧)

«من صنعاء إلى عدن». وهكذا، وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول: مسيرة شهر، والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب، والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، والله أعلم.

المسألة الثالثة: هل لكل نبي حوض؟

جاء حديث أورده الألباني في السلسلة الصحيحة «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا**[١] » هذا الحديث رجح جمع من العلماء عدم ثبوته، ومن أراد زيادة الفائدة فليرجع إلى "التعليقات السداد على شرح لمعة الاعتقاد" للشيخ كمال العدني رحمه الله.

وقال نقلاً عن الشيخ أحمد النجمي في " إرشاد الساري شرح السنة للبربهاري": هذا محل نظر ويحتاج إلى دليل يثبته.

قال الحافظ رحمه الله بعد أن ذكر الحديث: وفي إسناده لِينٌ، وإن ثبت فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة.[٢]

---

[١] من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عند الترمذي(٢٤٤٣)

[٢] " الفتح " (٤٦٧/١١)

وجوب الإيمان بالميزان

قوله:« وَالمِيزَان » قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا تنكرن جهلاً، وعنادًا « المِيزَان » الذي توزن به الحسنات، والسيئات؛ لأنه حق ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع أهل الحق.

وهذا الميزان: هو ميزان حقيقي له كفتان، ينصب يوم القيامة؛ لوزن العُمّال، وأعمالهم، وصحائف أعمالهم.

والدليل على أن الميزان ينصب يوم القيامة، قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧].

والدليل على أن العُمّال يوزنون، حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنه كان يجتني سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِمَّ تضحكون**»، قالوا يا نبي الله: من دقة ساقيه فقال: «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**».[1]

وجاء في " الصحيحين " من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [سورة الكهف:١٠٥].

---

[1] رواه الإمام أحمد، وحسنه الوادعي في " الصحيح المسند " (١/٤١١)

والدليل على أن أعمال العباد توزن، حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**». (١)

وجاء من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ شيء أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**». (٢)

وحديث أبي سلمى مولى رسول الله ﷺ، عَنْ أَبِي سَلاَّمٍ عَنْ مَوْلًى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « **بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدُهُ، وَقَالَ: بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ، والنَّارِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ**». (٣) وغيرها من الأحاديث.

والدليل على أن صحائف الأعمال تُوزن، حديث البطاقة، فقد جاء من حديث عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا**

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤)

(٢) جاء في " سنن أبي داود" (٤٧٩٩) وصححه الوادعي في " الصحيح المسند" (١٣/١)

(٣) صححه الوادعي في " الصحيح المسند " (٩٣/١)

رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ،قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ». (١)

فهذه أدلة على أن العامل، وعمله، وصحيفة عمله، يوزنون، والله أعلم.

فائدة: أنكر الميزان المعتزلة، وتأولوه بالعدل، إذْ زعمت أن الأعمال أعراض، لا تقوم بنفسها، وإن أمكن إعادتها لم يمكن وزنها.

وقد رد عليهم السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: نهج المعتزلة مباين لنهج الرسول، فإن الله تعالى قادر على تجسيم الأعراض، والإتيان بها في أحسن صورة، وأقبح صورة، وهذا غير محال في العقل، وقد ثبت به النقل، فوجب اعتقاده، والمصير إليه...ويكون الإيمان بالميزان ذي الكفتين، واللسان، من معتقدات أهل السنة، وإنكاره من شعار أهل الاعتزال. اهـ(٢)

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩) وهو في " الصحيح المسند "

(٢) " لوائح الأنوار " (٢/ ١٨١)

مسائل متعلقة بالميزان

المسألة الأولى: هل للميزان كفتان ولسان؟

أما الكفتان: فقد دل حديث البطاقة على إثبات الكفتين للميزان وفيه:« **فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**».(١)

وأما اللسان: فلا يوجد دليل ثابت على أن للميزان لسانٌ، وإنَّما المعول فيه على الإجماع، والنبي ﷺ قال: « **لا تجتمع أمتي على ضلالة** ».(٢)

قال الحافظ رحمه الله: قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان، وكفتان ويميل بالأعمال.(٣)

فائدة:

إثبات اللسان للميزان موجود ومنتشر في كتب العقيدة، فما من كتاب في المعتقد إلا ويذكر أن للميزان لسان، فمنها:

١- قول ابن قدامة رحمه الله: « والميزان له كفتان ولسان »(٤)

٢- قول البربهاري رحمه الله: « والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر، وله كفتان ولسان » " شرح السنة " (٤٢)

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) حسنه الألباني بمجموع طرقه، كما في السلسلة الصحيحة.

(٣) " الفتح " (٥٣٨/١٣)

(٤) " لمعة الاعتقاد " (٣٢)

٣- قول السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: « قال علمائنا وغيرهم كغيرهم: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، وقالوا: له لسان وكفتان، توزن به صحائف الأعمال» (١)

وغيرها من كتب المعتقد، والله أعلم بالصواب.

المسألة الثانية: هل الميزان واحد أو هناك أكثر من ميزان؟

ذُكر الميزان تارةً بلفظ الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]. وقوله ﷻ:﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٠٢].

وتارةً بلفظ الإفراد كقوله ﷺ « **ثقيلتان في الميزان** » وقوله: «**بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان** »، فاختلف العلماء، فمنهم من يرى أن الموازين متعددة، ومنهم من يرى أنه ميزان واحد.

والراجح، والله أعلم أنه ميزان واحد، وإنما جُمع باعتبار تعدد الأعمال، والأشخاص الموزونة، وهو ترجيح جمع من العلماء.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا». (٢)

---

(١) " لوائح الأنوار " (١٧٩/٢)

(٢) " الفتح " (٥٣٨/١٣)

قال ابن كثير رحمه الله: « الأكثر على أنه ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه»(١)

وقال السفاريني رحمه الله: «الأرجح الأشهر أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال»(٢)

المسألة الثالثة: وزن الكافر.

جاءت آيات فيها إثبات وزن الكافر، ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]. وجاء في القرآن نفي الوزن للكافر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [سورة الكهف:١٠٥].

واختلف العلماء في وزن أعمال الكافر، منهم من يقول: توزن أعمال الكافر للآية السابقة، ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]. وكذلك من الآيات التي استدل بها من يقول بوزن أعمال الكافر، قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ [سورة القارعة:٨-٩].

---

(١) " تفسير ابن كثير " (٣٤٥/٥)

(٢) " لوائح الأنوار " (١٩٤/٢)

وقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الأعراف:٩].

قال القرطبي رحمه الله: و هذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار لأن عامة المعنيين بقوله: ﴿خفت موازينه﴾ في هذه الآيات هم الكفار، وقال في سورة المؤمنين ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، وفي الأعراف ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ وقال: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾، وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار، وإذا جمع بينه وبين قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ ثبت أن الكفار يسألون عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه، إذ لم يسألوا عما خالفوا فيه أصل دينهم، من ضروب تعاطيهم، ولم يحاسبوا به، ولم يعتد بها في الوزن أيضا، فإذا كانت موزونة دل على أنهم يحاسبون بها وقت الحساب، وفي القرآن ما يدل أنهم مخاطبون بها مسؤولون عنها، محاسبون بها، مجزيون على الإخلال بها ،لأن الله تعالى يقول : ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة فصلت:٦-٧]. فتوعدهم على منعهم الزكاة، وأخبر عن المجرمين أنهم يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [سورة المدثر:٤٢]. الآية فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان، والبعث، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأنهم مسؤولون عنها، محتسبون مجزيون على الإخلال بها.[١]

---

[١] " التذكرة " (٣٥٩)

وقال ابن حزم رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [سورة الكهف:١٠٥]. قال: وَلَيْسَ هَذَا على أَن لَا توزن أَعْمَالهم، بل توزن لَكِن أَعْمَالهم شَائِلَة وموازينهم خفاف قد نَص الله تَعَالَى على ذَلِك إِذْ يَقُول: ﴿وَمن خفت مَوَازِينه فَأُولَئِك الَّذين خسروا أنفسهم فِي جَهَنَّم خَالدُونَ﴾ إِلَى قَوْله ﴿فكنتم بهَا تكذبون﴾ فَأخْبر عز وَجل أَن هَؤُلَاءِ المكذبين بآياته خفت موازينهم والمكذبون بآيَات الله عز وَجل كفار بِلَا شكّ.(١)

فائدة: ذكر القرطبي رحمه الله والسفاريني رحمه الله، وهو الصحيح إن شاء الله، وهذا فيه جمع بين الأدلة « أن الوزن بالنسبة للكافر يوم القيامة ليس عامًا بل هو خاص بالبعض منهم لأن من الكفار من يعجل به إلى النار بغير حساب وهم المذكرون في قوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [سورة الرحمن:٤١]. كما أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب، لا ينصب لهم الميزان. اهـ (٢)

المسألة الرابعة: ما الحكمة في الوزن مع إحاطة علم الله لكل شيء؟

في الوزن عدة حكم ذكرها أهل العلم، فقد قال ابن الجوزي رحمه الله: فإن قيل: أليس الله يعلم مقادير الأعمال، فما الحكمة في وزنها؟ فالجواب: أن فيه خمسة حكم.

أحدها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا.

والثانية: إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى.

---

(١) " الفصل في الملل والأهواء والنحل " (٤/٥٤)

(٢) " التذكرة " " لوائح الأنوار " (٢/٢٠٤)

والثالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر.

والرابعة: إقامة الحجة عليهم.

والخامسة: الإعلام بأن الله عادل لا يظلم. اهـ[١]

قوله: « إِنَّكَ تُنْصَحُ »

يا أيها السلفي المعتقِدُ لهذا المعتَقَد الصحيح « تُنْصَحُ ».

والنصيحة: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: النَّصِيحَةُ: كَلِمَةٌ يُعَبِّرُ بِهَا عَنْ جُمْلَةٍ، هِيَ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، وَلَيْسَ يُمكنُ أَنْ يُعَبَّر هَذَا الْمَعْنَى بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَجْمَع مَعْنَاهُ غَيْرِهَا. اهـ[٢]

---

[١] " زاد المسير في علم التفسير " (٢/١٠٣)

[٢] " النهاية في غريب الحديث والأثر " (٥/٦٣)

خروج العصاة الموحدين من النار بفضل الله

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ. ... ... مِن النارِ أجْسادًا مِن الفَـحْمِ تُـطْرَحُ

عَلَى النَّهرِ في الفِردوسِ تَحْيا بِمَائِهِ. .....كَـحَبِّ حَميلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَـطْفَحُ »

قوله:« وقُلْ » أي أيها السُّني السَّلفي المتبع لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

« يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ » العظيم من أسماء الله سبحانه، والعظيم أي: الذي هو أعظم من كل شيء، الذي له التعظيم، والإجلال في قلوب عباده. ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

قوله :« بِفَضلِهِ » فالله فضله واسع، يخرج من شاء من النار، من عصاة الموحدين، وهذا الإخراج من النار فضل من الله، ليس بعمل عملوه، ولا خير قدموه.

قوله: « مِن النارِ أجْسادًا مِن الفَحْمِ » والنار: هي النار التي أُعدت للكافرين، والعصاة، والألف واللام للعهد الذهني، فالله يخرج من النار أجسادًا قد صارت فحمًا، والفحم معروف، وهو الجمر الطافي وهو أسود اللون.

قوله: « تُطْرَحُ » الطَّرح هو الرمي، فهذه الأجساد تُلقى وترمى في النار، جزاءً لما عملت، وكسبت، فاحترقت هذه الأجساد، -والعياذ بالله- حتى صارت فحمًا، فمن رحمة الله وفضله وكرمه وجوده وإحسانه، يخرجهم من النار.

قوله: « عَلَى النَّهرِ» نهر من أنهار الجنة، يُسمى نهر الحياة أو الحياء، كما سيأتي بيانه في الحديث.

قوله: « في الفِردوسِ » الفردوس اسم من أسماء الجنة، ويطلق على أعلى الجنة.

قوله: « تَحْيا بِمَائِهِ » أي تلك الأجساد بعد أن صارت فحمًا، ورميت في النهر، فيصيبها من ماء النهر، فتنبت تلك الأجساد.

«كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ» أي الحبة التي يحملها السيل، من البذور، والبقول، والرياحين، وغيرها، فإن السيل إذا جاء حمل معه مثل هذه البذور، فيلقيها على جنبتيه، فتنبت بماء السيل بسرعة، وهكذا الذين يخرجون من النار من عصاة الموحدين، يلقون في النهر، فتعود أجسادهم إلى أحسن ما يكون، بعد أن صارت فحمًا.

قوله: « يَطْفَحُ » أي: إذا جاء السيل « يَطْفَحُ » أي: يفيض يقال: «طفح الإناء أو النهر» إذا امتلأ وفاض.(١)

فهاتان البيتان، بين فيهما الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أن أهل الكبائر من الموحدين، إذا دخلوا النار، فإنهم يصيرون حممًا ، فيخرجهم الله بفضله وكرمه، ثم يُلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة إذا حملها السيل بسرعة، فيعودون أحسن ما يكون، وهاتان البيتان اقتبسهما الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ -أَوْ قَالَ: حَمِيَّةِ السَّيْلِ -" وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**».(٢)

---

(١) "معجم الرائد "

(٢) متفق عليه، وهذا لفظ البخاري (٦٥٦٠) وقد جاءت عدة روايات بألفاظ متقاربة، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فائدة: في هاتين البيتين ردٌ على الخوارج، الذين يرون كفر صاحب الكبيرة، وأنه يوم القيامة مخلد في النار.

وكذلك ردٌ على المعتزلة، الذين يقولون: إنَّ صاحب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة خالد في النار.[١]

[١] "لوائح الأنوار" (٢/٢٤٢)

شفاعة النبي ﷺ

قال الناظم رحمه الله:

« فإنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلقِ شَافِعٌ..... وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ »

أي: وقل يا أيها المتمسك بالكتاب والسنة بلسانك، ومعتقدًا بقلبك، بأن رسول الله ﷺ وهو محمد بن عبد المطلب، يشفع للخلق يوم القيامة.

قوله:« شَافع » اسم فاعل من شفع

والشفاعة: هي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة.[١]

والشفاعة على قسمين: ١-شفاعة دنيوية. ٢-شفاعة أخروية.

الشفاعة الدنيوية – في الدنيا-على أقسام:

١. **شفاعة جائزة**: فقد جاء في الصحيحين وهذا لفظ مسلم (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ: «**اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ**».قال النووي في "شرحه للحديث": فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة، سواء كانت الشفاعة إلى سلطان، ووَالٍ ونحوهما، أم إلى واحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان، في كف ظلم، أو إسقاط تعزير، أو في تخليص عطاء لمحتاج، أو نحو ذلك. اهـ

---

[١] "شرح ابن عثيمين للعقيدة الواسطية" (١/١٦٩)

٢. **شفاعة محرمة**: مثل الشفاعة في تتميم باطل، أو إبطال حق، أو في حد من الحدود قد وصل إلى الحاكم.

قال النووي رحمه الله: وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في تتميم باطل أو إبطال حق، ونحو ذلك فهي حرام. اهـ

لحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: « **أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ**» ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**».

قال الشيخ العباد حفظه الله: حكم ذلك -أي: الشفاعة في الحد-، وهو أنه لا يجوز إذا بلغ السلطان، وأما إذا كان لم يبلغ السلطان فإنه لا بأس بذلك، والمنع إنما هو فيما إذا بلغ السلطان، فإنه لا تجوز الشفاعة فيه.[١]

٣. **شفاعة شركية**: كأن يطلب الإنسان الشفاعة من صاحب قبر، أو ولي، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة يونس:١٨]. وقوله ﷻ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟

---

[١] "شرح سنن أبي داود" (٣/ ٤٩٤)

مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة الزمر:٤٣].

الشفاعة الأخروية: تنقسم إلى قسمين:

١- شفاعة عامة. ٢- شفاعة خاصة.

الشفاعة الخاصة: هي الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ لأمته، ومن هنا نعلم محبة النبي ﷺ لهذه الأمة؛ حيث ادّخر دعوته شفاعة لأمته. فقد جاء في الصحيحين وهذا لفظ مسلم (١٩٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**».

وشفاعة النبي ﷺ منها ماهي خاصة به لا يشاركه فيها أحد غيره، ومنها من قد يشاركه فيها.

فأما الشفاعة الخاصة التي لا يشاركه فيها غيره:

١- شفاعته ﷺ في عرصات القيامة للخلق، وهي المقام المحمود، وكأن الناظم رحمه الله أراد هذه الشفاعة ، من قوله:« للخلق شافع ».

والدليل على هذه الشفاعة، ما جاء من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: " **أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا**

قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا

إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى ".[1]

٢- شفاعته ﷺ لأهل الجنة بدخول الجنة، والدليل ما جاء من حديث حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ ، قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: « أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ

---

[1] "رواه مسلم " (١٩٤) وأخرجه البخاري (٣٣٤٠).

كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا » ، قَالَ: « وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.(١)

٣- شفاعته ﷺ، لعمه أبي طالب بتخفيف العذاب عليه، فقد جاء من حديث العباس رضي الله عنه قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: « هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».(٢) فهذه الثلاثة خاصة بالنبي ﷺ لا يشاركه فيها غيره.

وقد ذكر العلماء شفاعات أخرى للنبي ﷺ، وهذه الشفاعات يشاركه فيها غيره وهي:

١. شفاعته ﷺ لقوم من المؤمنين، في رفع درجاتهم. وقد يُستدل على هذا بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ».(٣)

وكذلك دعاء النبي ﷺ لأبي عامر الأشعري ، فقد جاء من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي بَيْتٍ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ، وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، وَقَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقُلْتُ لَهُ: قَالَ: قُلْ لَهُ: يَسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَاءٍ،

---

(١) " رواه مسلم " (١٩٥)

(٢) رواه البخاري (٣٨٨٣)

(٣) رواه مسلم (٩٢٠) من حديث أم سلمة رضي الله عنها

فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**» حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ مِنَ النَّاسِ**» فَقُلْتُ: وَلِي، يَا رَسُولَ اللهِ فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيمًا**» قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى.(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين.(٢)

وهذ الشفاعة يشاركه فيها غيره، كدعاء الولد الصالح لأبيه فيرفعه الله الدرجات في الجنة، فقد عند أحمد والبزار من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الله تبارك وتعالى ليرفع للرجل الدرجة، فيقول: أنى لي هذه؟ فيقول: بدعاء ولدك لك**.(٣)

٢- شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته بعدم دخول النار، وهذه الشفاعة أنكرها جمع من العلماء؛ لعدم وجود الدليل عليها. فقد قال ابن القيم رحمه الله: وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلم أظفر فيه بنص.(٤)

---

(١) رواه البخاري(٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨)

(٢) " قاعدة جلية في التوسل والوسيلة" (١١)

(٣) وهو في " الصحيح المسند "

(٤) "حاشية ابن القيم"

وقد يستدل لها بحديث أنس رضي الله عنه عند عَنِ النبي -ﷺ- قَالَ: « **شفاعتي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** »[١]

وصاحب الكبيرة يشمل من دخل النار، ومن لم يدخل النار.

قال ابن عثيمين رحمه الله: الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول -ﷺ-: «**ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه**» فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك.[٢]

وهذ الشفاعة إن ثبتت بهذه الأدلة فهي للنبي ﷺ وغيره من المؤمنين، والله أعلم.

٣- شفاعته ﷺ لأهل الكبائر ممن قد دخل النار أن يخرج منها، وهذه الشفاعة يشاركه فيها الأنبياء والمؤمنون، وقد جاء من حديث عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ**».[٣]

---

[١] أخرجه أبو داود(٤٧٤١) والإمام أحمد (١٣٢٢٢)، وصححه الألباني، وحسنه الإمام الوادعي في كتاب "الشفاعة" (٧٥) فقال: الحديث أخرجه أبوداود (ج٥ ص١٠٦)، والبخاري في "التاريخ الكبير" (ج٢ ص١٢٦)، وابن خزيمة ص(٢٧١)، والآجري في "الشريعة" ص(٣٣٨) وعنده سقط بين سليمان بن حرب وأشعث: بسطام بن حريث، والحاكم (ج١ ص٦٩).

والحديث حسن بهذا الإسناد.

[٢] " القول المفيد" (١/ ٢٤٠)

[٣] رواه " البخاري " (٦٥٦٦)

والشفاعة العامة: هذه تكون شفاعة لله وللأنبياء والشهداء، والملائكة، والمؤمنين، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « ... **حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا** "، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٤٠]. **فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، **قَالَ:**

« فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ... ».(١)

هذا شيء مختصر عن الشفاعة، ولا بد أن تعلم أن الشفاعة لا تكون مقبولة إلا بشرطين:

١- إذن الله للشافع أن يشفع، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]. ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [سورة طه:١٠٩]. ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٣].

٢- رِضَى الله عن المشفوع له، ولا يكون هذا إلا لأهل التوحيد، قال الله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨].

فائدة: ذهبت الخوارج والمعتزلة إلى إنكار الشفاعة لأهل الكبائر، لزعمهم أن إنفاذ الوعيد واجب على الله سبحانه، وأن أهل الكبائر من المخلدين في النار، والعياذ بالله، وهذا خلاف مذهب السلف.(٢)

(١) رواه مسلم (١٨٣)

(٢) "لوائح الأنوار" (٢٤٩)

إثبات عذاب القبر

قال الناظم رحمه الله:

«..... وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ »

وقل يا أيها المسلم بلسانك، معتقدًا بقلبك، من غير شك، ولا مرية، في أن عذاب القبر حق، ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

فمن الكتاب: قال الله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [سورة غافر:٤٦]. قال ابن كثير رحمه الله: فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: أشده ألمًا وأعظمه نكالاً. وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور.[1] وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ [سورة التوبة:١٠١]. قال جمع من المفسرين منهم الحسن وابن جريج: عذاب الدنيا، وعذاب القبر، ثم يردون إلى عذاب النار.

وهناك عدة آيات في إثبات عذاب القبر، اقتصرت على هاتين الآيتين، ومن أراد زيادة الفائدة، فليرجع إلى رسالة شيخي أبي الحسن الحمادي وهي: " فتح الغني في إثبات عذاب القبر في كتاب الله وسنة النبي ".

---

[1] تفسير ابن كثير (٧/١٤٦)

ومن السُّنة: ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**».(١)

وما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، قَالَتْ: فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ، فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَقَالَ: «**صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ**» قَالَتْ: «**فَمَا رَأَيْتُهُ، بَعْدُ فِي صَلاَةٍ إِلَّا يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**».(٢)

وحديث البراء المشهور في قصة فتنة القبر، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ... الحديث

وحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ**

---

(١) وهذا لفظ مسلم (٥٨٨)

(٢) وهذا لفظ مسلم (٥٨٦١)

أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: « لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا».(١)

وهناك أحاديث كثيرة، اقتصرت على هذه خشية الإطالة.

وأما الإجماع: فقد نقل اتفاق السلف على ثبوت عذاب القبر.

١- شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: « بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ وَأَنَّهَا مُنَعَّمَةٌ أَوْ مُعَذَّبَةٌ».(٢)

٢- أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون فيثبت الله من أحب تثبيته ».(٣)

فائدة: دلت الأدلة على أن عذاب القبر ليس على صورة واحدة، بل متنوع على حسب حال الشخص، فقد يكون مستمرًا، وقد يكون منقطعًا.

أما العذاب المستمر: هو العذاب المستمر الذي لا ينقطع على من استحقه، حتى تقوم القيامة، وهذا العذاب يكون للكفار، ولبعض عصاة الموحدين، على حسب ذنوبهم، والدليل على ذلك، ما جاء من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلاَءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**».(٤)

---

(١) رواه البخاري (٢١٨) ومسلم (٢٩٢)

(٢) كما في مجموع الفتاوى (٤/٢٨٣)

(٣) "رسالته إلى أهل الثغر" (١/٢٧٩)

(٤) رواه البخاري (٣٤٨٥) ورواه مسلم

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**».(١)

وغير هذه الأحاديث التي تدل على أن عذاب القبر منه ما هو مستمر لا ينقطع، حتى تقوم الساعة، كما يفعل بالكذاب، يشرشر شدقه ومنخره إلى قفاه، يعذب بهذا العذاب، حتى تقوم الساعة، كما في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عند البخاري.

وأما العذاب المنقطع: فهو الذي لا يستمر على صاحبه بل ينقطع قبل القيامة، فهو مؤقت يزول بزوال سببه، أو باستيفاء عقوبته.

ومثال ذلك: تعذيب الميت المسلم ببكاء أهله عليه أي: البكاء المحرم من النياحة، ولطم الخدود، وشق الجيوب، إذا أوصى بذلك، أو رضيَ بذلك، فقد جاء من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»(٢)

وكذلك ما جاء عند أحمد من حديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: لَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ عَبْدٌ أَسْوَدُ فَمَاتَ فَأُوذِنَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: « **انْظُرُوا هَلْ تَرَكَ شَيْئًا** »فَقَالُوا: تَرَكَ دِينَارَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَيَّتَانِ**».(٣)

وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على أن من العذاب ما ينقطع عن صاحبه قبل يوم القيامة.(٤)

---

(١) رواه مسلم (٢٠٨٨)

(٢) رواه البخاري (١٢٨٨) ومسلم (٩٢٨)

(٣) وهو في " الصحيح المسند" (١/ ٤٢٤)

(٤) "شرح الصدور "للسيوطي و "الموسوعة العقدية" (٤/ ٢٠٢٥)

بعض المسائل المتعلقة بهذا الباب

المسألة الأولى: سبب تسمية عذاب القبر بهذا الاسم.

السبب في ذلك أن الأغلب فيمن يموت يدفن في القبر، فسُمِيَ عذاب القبر بذلك نسبةً إلى القبر الذي وضع فيه، وليس هذا العذاب خاص فيمن قبر فقط، بل هو عام في كل ميت يستحق العذاب، قبر أو لم يقبر.

قال السيوطي رحمه الله: قَالَ الْعلمَاء: عَذَاب الْقَبْر هُوَ عَذَاب البرزخ، أضيف إِلَى الْقَبْر لِأَنَّهُ الْغَالِب، وَإِلَّا فَكل ميت إِذا أَرَادَ الله تَعَالَى تعذيبه، ناله مَا أَرَادَ بِهِ قبر أَو لم يقبر، وَلَو صلب أَو غرق فِي الْبَحْر، أَو أَكلته الدَّوَابّ، أَو حرق حَتَّى صَار رَمَادا، أَو ذري فِي الرّيح، وَمحله الرّوح وَالْبدن جَمِيعًا بِاتِّفَاق أهل السّنة وَكَذَا القَوْل فِي النَّعيم. اهـ[1]

وقال ابن القيم رحمه الله: وَمِمَّا ينبغي أَن يعلم أَن عَذَاب الْقَبْر هُوَ عَذَاب البرزخ، فَكل من مَاتَ وَهُوَ مُسْتَحقّ للعذاب ناله نصِيبه مِنْهُ قبر أَو لم يقبر، فَلَو أَكلته السبَاع، أَو أحرق حَتَّى صَار رَمَادا، ونسف فِي الْهَوَاء، أَو صلب، أَو غرق فِي الْبَحْر، وصل إِلَى روحه وبدنه من الْعَذَاب مَا يصل إِلَى الْقُبُور. اهـ[2]

المسألة الثانية: عذاب القبر ونعيمه هل يكون على الروح والجسد؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن،

---

(١) " شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبور" (١٨١)

(٢) " الروح" (٥٨)

والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن. اهـ[١]

قال السيوطي رحمه الله: قَالَ الْعلمَاء: عَذَاب الْقَبْر هُوَ عَذَاب البرزخ... وَمحله الرّوح وَالْبدن جَمِيعًا بِاتِّفَاق أهل السّنة وَكَذَا القَوْل فِي النَّعيم. اهـ[٢]

المسألة الثالثة: فتنة القبر.

فتنة القبر عامة في جميع الخلق، إلا من خصهم الدليل، واستثناهم، كالأنبياء، والمرسلين، والمرابطين في سبيل الله، والصديقين على الصحيح.

قال الشيخ كمال العدني رحمه الله نقلاً عن الشيخ يحيى الحجوري -حفظه الله- في "الحجج القاطعة": وأما فتنة القبر فإنها عامة إلا من اختص بدليل، مثل المرابط في سبيل الله، كما في حديث فضالة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **كل ميت يختم على عمله، إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله الذي عمل ويؤمن الفتان**»، ومن ذلك الشهيد «**كفى ببارقة السيوف على رؤوسهم فتنة** » ومن ذلك الأنبياء فإنهم يُسأل عنهم في القبر، ومن ذلك الصديقون -على قول أهل العلم- لا يفتنون، وأما من عدا هؤلاء، فإنهم يفتنون في قبورهم، فالفتنة أعم من العذاب، إذْ أن العذاب على المستحق، أما الفتنة فهي عامة، إلا من استثنى بدليل". اهـ

إذن الذين يُعصمون من فتنة القبر أربعة أصناف وهم:

١- الأنبياء. ٢- الصديقون. ٣- الشهداء. ٤- من مات مرابطًا في سبيل الله.

---

[١] كما في "مجموع الفتاوى" (٤/٢٨٢)

[٢] "شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبور" (١٨١)

فائدة: جاء حديث خرجه الترمذي، والإمام أحمد، والنسائي، وصححه الوادعي في "الصحيح المسند" (٢٤٢/١) من حديث عبد الله بن يسار رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا وَسُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ وخَالِدُ بْنُ عُرْفُطَةَ، فَذَكَرُوا أَنَّ رَجُلاً تُوُفِّيَ مَاتَ بِبَطْنِهِ، فَإِذَا هُمَا يَشْتَهِيَانِ أَنْ يَكُونَا شُهَدَاءَ جَنَازَتِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ يَقْتُلْهُ بَطْنُهُ، فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ**» فَقَالَ الْآخَرُ: بَلَى. فهذا دليل على أن الذي يموت ببلاء في بطنه فلن يعذب في قبره، والله أعلم.

فائدة أخرى: المنكرون لعذاب القبر بالكلية، المعتزلة، والروافض، والخوارج، والقرآنيون، وقالوا: إنَّ الميت لا يعذب في قبره، وهذا قول باطل، ومعلوم من مذهب أهل السنة والجماعة، إثبات عذاب القبر، ونعيمه.

قوله: « وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ » أي: عذاب القبر واضح في الكتاب والسنة، فلا يجوز إنكاره.

وفي نسخة « يُوضَحُ » قال السفاريني رحمه الله: يوضح أي: يظهر ويكشف ويبان بيانًا لا خفاء فيه، ولا شك يعتريه، تصريحًا بحقية عذاب القبر، ونعيمه، خلافًا للمعتزلة ومن وافقهم من أهل العناد، والضلال، والإلحاد. اهـ[1]

[1] " لوائح الأنوار " (٢٦٨/٢)

بيان حال العصاة من أهل التوحيد

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« ولا تُكَفِّرَنَّ أَهْلَ الصَّلاةِ وإِنْ عَصَوا. . . ... فكلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصْفَحُ»

قوله:« ولا تُكَفِّرَنَّ » الكفر لغةً: الستر والتغطية، ولذلك قيل: للزَّراع كافر لأنه يُغطي البذر بالتراب، وكذلك كانت العرب تطلق على الليل أو الظلمة كافر لأنه يغطي كل شيء.(١)

شرعًا: هو عدم الإيمان، سواء كان معه تكذيب، أو استكبار، أو إباء، أو إعراض.(٢)

فالناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: لا تطلق كلمة الكفر، ولا تعتقد كفر أهل الصلاة، وإن حصل منهم معاصي وآثام، فالذنوب والمعاصي قد تحصل من العبد، والله يغفر الذنوب إذا تاب العبد واستغفر.

قوله:« أَهْلَ الصَّلاةِ » فيه: إشارة إلى كفر تارك الصلاة، وأن من ترك الصلاة صار كافرًا؛ لأن الصلاة عمود الدين. قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة التوبة: ١١].

فجعل الأخوة في الدين بإقامة الصلاة، ومن ترك الصلاة فهو كافر. والأدلة من الكتاب والسنة على كفر تارك الصلاة كثيرة، ومعروفة لدى طالب العلم.

---

(١) "مقاييس اللغة" (٥/ ١٩١) و "تهذيب اللغة" (١٠/ ١١٢)

(٢) "مجموع الفتاوى" (٧/ ٦٣٩)

قوله:« وإِنْ عَصَوا » فيه: إشارة إلى أن المسلم الذي يحافظ على صلاته، إن فعل ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا، فهو مازال من المسلمين، بشرط أن هذا الذنب لا يكون شركًا، ولا ناقضًا من نواقض الإسلام، والمسلم قد يقع في المعاصي، وقد يذنب، ولذلك أمر العبد بالاستغفار، ولذلك جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**».(١)

قوله:« فكلُّهُمْ يَعْصِي » فيه: إشارة إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:« **يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»(٢)

فالعبد ليس بمعصوم من الأخطاء، لكن عليه إذا أخطأ أن يتوب ويرجع عن خطئه.

قوله:« وذُو العَرشِ » ذو هنا بمعنى صاحب أي: صاحب العرش، وهذه الإضافة من إضافة المخلوق إلى الخالق، وهذه الإضافة تقتضي التشريف.

والعرش **لغةً**: هو السرير الخاص بالملك قال الله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة يوسف:١٠٠]. وقال الله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النمل:٢٣].

شرعًا: هو العرش العظيم الذي استوى عليه جل جلاله، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها.(٣)

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٩)

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧)

(٣) "شرح اللمعة لابن عثيمين" (٦٣)

صفات العرش

١- أنه من أعظم المخلوقات قال الله: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة التوبة:١٢٩]. ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة المؤمنون:٨٦]. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾[سورة النمل:٢٦].

٢- أنه أعلى المخلوقات، فقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**».(١)

٣- أنه عرش كريم، قال الله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون:١١٦].

٤- أنه عرش مجيد، قال الله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [سورة البروج:١٥].

٥- أن هذا العرش له قوائم، فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**».(٢)

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٠)

(٢) وهذا لفظ البخاري (٣٣٩٨)

٦- أن العرش له حملة يحملونه من الملائكة، قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [سورة غافر:٧]. وقوله: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [سورة الحاقة:١٧].

فالعرش له ملائكة يحملونه، بقدرة الله، وكذلك يكون حول العرش ملائكة، ويوم القيامة يحمله ثمانية، وحملة العرش لا يعلم بعظمهم إلا الله، فقد جاء من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ** ».(١)

٧- ومن صفات العرش أن الله مستوٍ عليه، قال الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه:٥].

قوله: « يَصْفَحُ » الصفح لغةً: الإعراض عن الذنب والتجاوز عنه.

وشرعًا: هو ترك التأنيب، وهو أبلغ من العفو.(٢) وقيل: هو إزالة أثر الذنب من النفس.(٣)

وقال السفاريني رحمه الله: « يَصْفَحُ » من الصفح وهو الإعراض عن المؤاخذة.(٤)

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٧) وهو" في الصحيح المسند"

(٢) "التوقيف على مهمات التعاريف" للمناوي (٢١٧)

(٣) قاله القرطبي في " تفسيره" (٢/٧١)

(٤) "لوائح الأنوار" (٢/٢٧٨)

الرد على الخوارج في تكفير صاحب الكبيرة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارجِ إنّهُ..... مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ »

بعد أن ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أن أهل الإسلام، وإن حصل منهم ذنوب ومعاصي، غير مخرجه من الدين، حذر من اعتقاد رأي الخوارج؛ لأن رأي الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة، ويخلدونه في نار جهنم، ولذلك قال:

« ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارجِ » أي: لا تجعل مذهب الخوارج لك عقيدةً وديناً، فمذهبهم باطل، وهم في ضلال، فقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنة على رد مذهبهم الفاسد، وأن صاحب الكبيرة لا يكفر؛ إنما هو مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته، وهو في الآخرة تحت المشيئة أي: مشيئة الله.

فمن الأدلة على عدم كفر صاحب الكبيرة:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة البقرة:١٧٨].

هذه الآية جعل الله فيها القاتل وهو مرتكبٌ لكبيرة القتل أخًا لولي المقتول.

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير هذه الآية: وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرًا بالقتل، لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ وقال في آخر الآية: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ وأراد به أخوة الإيمان، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات:٩].

ذكر الله القتل، والقتلُ كبيرة من كبائر الذنوب، ومع ذلك أخبر بأنهم من أهل الإيمان، ليدل على أن الكبيرة ليست مخرجة من الإيمان.

٣- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [سورة التحريم:٨].

هذه الآية مبتدئة بنداء لأهل الإيمان، بأن يتوبوا إلى الله توبةً نصوحًا، وفيه دليل على أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان.

٤- قول النبي ﷺ « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** »[١] فإذا كان من ارتكب كبيرةً صار كافرًا، لا تنفعه عند ذلك شفاعة النبي ﷺ والله يقول: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [سورة المدثر:٤٨].

وغيرها من الأدلة من الكتاب والسنة، يطول ذكرها.

فائدة: الخوارج هم أتباع ذي الخويصرة التميمي الذي قال لرسول الله ﷺ: «اعدل»، فقد جاء من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ

---

[١] تقدم تخريجه في باب الشفاعة.

يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ - وَهُوَ الْقِدْحُ - ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَتَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: « فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فَوُجِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ، عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي نَعَتَ». (١)

فائدة أخرى: فرقة الخوارج هي أول فرقة خرجت في الإسلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج. (٢)

وقال أيضًا رحمه الله: كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون. (٣)

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤)

(٢) كما في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٢٧٩)

(٣) كما في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٣٤٩)

والخوارج فرق كثيرة، قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخَوَارِج عشرُون فرقة، وَهَذِه أسماؤها، المحكمة الأولى الْأَزَارِقَة، والنجدات، والصفرية، ثمَّ العجاردة المفترقة فرقا مِنْهَا الخازمية، والشعيبية، والمعلومية، والمجهولية، وَأَصْحَاب طَاعَة لَا يُرَاد الله تَعَالَى بهَا، والصلتية، والأخنسية، والشيبية، والشيبانية، والمعبدية، والرشيدية، والمكرمية، والخمرية، والشمراخية، والإبراهيمية، والواقفة، والإباضية.(١)

وقد ذكر السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ في " لوائح الأنوار" (٢/ ٣٢٤) عن الخوارج، فقال:« هؤلاء تشعبوا إلى سبع فرق مارقة، وهم أشد إلحادًا من الزنادقة... ».

قوله:« إنّهُ..... مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ »

أي: هذا القول قول الخوارج بتكفير صاحب الكبيرة، يحبه، ويهواه، من كان منهم، وذلك كله اتباع للهوى، واتباع الهوى سبب للهلاك.

قوله:« يُرْدِي ويَفْضَحُ » فكل من قال بقول الخوارج؛ فمآله إلى الخسران والردى، في الدنيا والآخرة، وتكشف مساويه، ويفضح في الدنيا والآخرة، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) " الفرق بين الفرق" (١/ ٥٤)

بيان حال المرجئة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« ولا تَكُ مُرْجِيًا لَعُوبًا بِدِينِهِ..... .. أَلَا إِنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ »

بعد أن حذر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من مذهب الخوارج، انتقل -رَحِمَهُ اللَّهُ -إلى ذكر مذهب المرجئة، ووصفهم بأنهم قوم يلعبون بدينهم، ويتخذون هذا الدين مزاح، حيث يجعلون إيمان صاحب الكبيرة كإيمان أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والعياذ بالله، فالمرجئة يتخذون الدين لهوًا ولعبًا.

والإرجاء **لغةً**: هو التأخير، ومنه قول الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:١١١]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [سورة التوبة:١٠٦].

أي: مؤخرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد.

والمرجئة: هم الذين يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة.[١]

سبب تسمية المرجئة بهذا الاسم؟

سُموا بذلك: لإرجائهم أي: تأخيرهم العمل عن الإيمان، ولا يدخلون العمل في مسمى الإيمان. أو لأنهم: يعتقدون أن الله أرجأ-أي: أخر – تعذيبهم على المعاصي.

---

[١] "النهاية في غريب الأثر" (٢/٤٩٧) و "لوائح الأنوار" (٢/٣٣١)

أقسام المرجئة:

١- الذين يقولون: أن الإيمان مجرد المعرفة فقط، أي المعرفة بالقلب، وهم الجهمية، وهذا قول باطل، فلازم كلامهم أن فرعون مؤمن؛ وقد قال الله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل:١٤]. وقال الله: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [سورة الإسراء:١٠٢]. ففرعون كان يقر بقلبه، ويعرف صدق موسى عليه السلام.

وكذلك يلزم من كلامهم، أن أبا طالب مؤمن؛ لأنه كان يعرف صدق نبينا ﷺ، حيث قال: «لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ»[(١)].

وتنسب إلى أبي طالب تلك الأبيات:

ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمّدٍ ... من خير أديانِ البريّة ديناً

لولا الملامةُ أو حذار مسبّةٍ ... لرأيتني سمْحَاً بذاكَ مبيناً

٢- الذين يقولون: أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، وهؤلاء هم الكرامية، وهذا القول باطل، إذْ يلزم من قولهم إنَّ المنافقين الذين أخبر الله عنهم، أنهم في الدرك الأسفل من النار أنهم مؤمنون؛ لأن المنافقين يقرون بألسنتهم، ويكفرون بقلوبهم، والعياذ بالله.

---

(١) رواه مسلم (٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

٣- مرجئة الفقهاء: حيث قالوا: الإيمان هو قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالقلب، وأخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان، وهذا القول باطل؛ حيث أن الله جعل الأعمال من الإيمان، فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]. أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، فالصلاة عملٌ وسماها الله إيمانًا، فدل على دخول الأعمال في الإيمان، وهناك أدلة كثيرة، تدل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، والله أ علم. وانظر " الإيمان لابن تيمية" **(١٥٥)** و " لوائح الأنوار " **(٢/ ٣٣١)**

قوله:« ولا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِه »

هذا من أحسن ما وصف به الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ المرجئة، أنهم قوم يلعبون بدينهم؛ حيث جعلوا المنافق كالمؤمن، والعاصي كالطائع، وقد فرق الله بينهم في كتابه فقال: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [سورة الجاثية:٢١].

وقال سبحانه: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [سورة ص:٢٨]. وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [سورة السجدة:١٨]. وقال سبحانه: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [سورة الحشر:٢٠].

فالله جل وعلا فرق بين الأبرار والفجار، وهؤلاء يجعلونهم بمنزلة واحدة، وأنهم مؤمنون.

قوله:« لَعُوبًا بِدِينِه » لعوب على وزن فعول وهي من صيغ المبالغة؛ حيث تدل على كثرة لعبهم بالدين، ومزاحهم بالدين؛ ولهذا قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« ألا إنَّمَا المُرْجيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ» فعياذًا بالله من اتخاذ الدين لعبًا ولهوًا.

فصلٌ: في الإيمان

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ..... وفِعْلٌ عَلَى قَولِ النبيِّ مُصَرَّحُ

ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي وَتَارَةً..... .....بطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الوَزنِ يَرْجَحُ»

بعد أن ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ الخوارج والمرجئة، وما هم عليه من تعريف الإيمان، حثَّ رَحِمَهُ اللَّهُ على قول أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان، فقال:

« وقُلْ » أيها السني السلفي، المتمسك بدينك.

« إنَّما » أداة حصر « الإيمانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ..... وفِعْلٌ »

هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، **وهو:** قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

والدليل على أن الإيمان قول باللسان، قوله سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٣٦]. وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ -شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» رواه مسلم بهذا اللفظ (٣٥) وحديث أنس وابن عمر وجابر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهذا لفظ حديث أنس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**».[١]

---

[١] رواه البخاري (٣٩٢)

والدليل على أن الإيمان اعتقاد بالقلب، قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢]. وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم ذكره وفيه «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ -شُعْبَةً ...وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» ومعلوم أن الحياء لا يكون إلا في القلب.

والدليل على أن الإيمان عمل بالأركان – أي: الجوارح-قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]. أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، قال الحافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَمَّا كَانَتِ الصَّلاَةُ جَامِعَةً لِقَوْلِ الْقَلْبِ وَعَمَلِهِ وَقَوْلِ اللِّسَانِ وَعَمَلِهِ وَعَمَلِ الْجَوَارِحِ، سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى إِيمَانًا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [سورة البقرة:١٤٣].(١)

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ -شُعْبَةً ... وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»، والإماطة عملٌ بالجوارح، وهذا الحديث يجمع هذا كله، فلا إله إلا الله قولٌ، وإماطة الأذى من أعمال الجوارح، والحياء من أعمال القلوب، وكلها جعلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان.

والدليل على أن الإيمان يزيد، قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ

(١) "معارج القبول" (٢/ ٦٠٠)

يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة التوبة:١٢٤]. وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [سورة الأنفال:٢]. وقوله: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [سورة مريم:٧٦]. إلى غير ذلك من الأدلة.

والدليل على أن الإيمان ينقص، أدلة الزيادة؛ لأن الزيادة لا تكون إلا عن نقص. كما ذكر أهل العلم.

ومن الأدلة قول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ**... »[١] فأثبت في هذا الحديث نقص الدين.

وحديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ** »[٢]، فدل على أن إنكار المنكر بالقلب يدل على ضعف الإيمان.

قوله: «وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ.....وفعْلٌ عَلَى قَولِ النبيِّ مُصَرَّحُ»

أي: أنَّ الإيمان هو عبارة عن قولٍ باللسان، ونيَّةٌ أي: اعتقادٌ بالقلب، وفعْلٌ أي: عملٌ بالجوارح، فهذا التعريف جاء من قول النبي ﷺ مصرحٌ به في أحاديث، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: « **الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ -شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ** ».

---

[١] وراه البخاري (٣٠٤) ومسلم (٧٩)

[٢] رواه مسلم (٤٩)

وحديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ أمر وفد عبد القيس بوصايا، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: « أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ » قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**».(١)

فهذا الحديث فيه بيان واضح على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، فالصلاة، والزكاة، والصيام أعمالٌ، وأدخلها النبي ﷺ في مسمى الإيمان.

قوله:« وَيَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي» أي: الإيمان ينقص بالمعاصي، فكلما ارتكب العبد معصيةً نقص إيمانه، على حسب المعصية التي ارتكبها، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة، أن الإيمان يزيد وينقص، ولهذا قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: " لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول، وعمل، يزيد، وينقص".

قوله:« طَوْرًا » الطَوْرُ: المرة والتارة، أي: ينقص مرة بالمعاصي، أو ينقص تارة بالمعاصي، والله تعالى أعلم.

قوله:« وَتَارة..... ..... بطَاعَتِهِ يَنْمِي»أي: أن الإيمان يزيد بالطاعة، وأصل النماء الزيادة، والله يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة الفتح:٤] وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران:١٧٣].

---

(١) رواه البخاري (٥٣)

وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٢٢].

قوله: « وفي الوَزنِ يَرْجَح » أي: أن الإيمان إذا زاد ونمى بالطاعة، فعند ذلك يثقل في الميزان، ويرجح؛ لأنه تقرب إلى الله بالطاعات، وابتعد كل البعد عن المعاصي والمحرمات، قال ﷻ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٠٢].

فصلٌ في ذم الآراء المخالفة للكتاب والسنة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم..... ... فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وَأَشْرَحُ »

قوله:« وَدَعْ » أي: اترك وذر واجتنب واحذر، قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَدَعْ » أي: اترك وذر « عنكَ » غير محتفل ولا مكترث له، ولا مهتم به، يقال: وَدَعَ الشيء يدعه ودعًا إذا تركه، والنحاة يقولون: إن العرب أماتوا ماضي يدع ومصدره، واستغنوا عنه بترك، والنبي ﷺ أفصح العرب وقد استعمله في قوله: « **لينتهينَّ أقوام عن ودعهم الجمعات**... » وإنما يحتمل قولهم على قلة استعماله. اهـ[١]

قلت: وقد استعمله النبي ﷺ كذلك حيث قال ﷺ لعائشة:« **يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ وَدَعَهُ، أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**».[٢]

قوله:« آراءَ الرِّجالِ » الآراء: جمع رأي وهو ما يراه الإنسان في الأمر.

والرجال: جمع رجل، وإنما ذكر الرجال دون النساء لأن الغالب في أصحاب الرأي هم الرجال، ولذلك خصهم بالذكر.

وذمُّ الناظمِ رَحِمَهُ اللَّهُ للرأي في هذا البيت، إنما يقصدُ بذلك الرأي المذموم، رأي مجرد، لا دليل عليه، وهذا الرأي الذي ذمه السلف؛ لأنَّه رأي باطل، وأما الرأي الذي عن نظر في الأدلة، رأي مستند إلى استدلال واستنباط من النص وحده، أو من نص آخر معه، فهذا من ألطف فهم النصوص، وأدقه.[٣]

---

[١] " لوائح الأنوار " (٢/٣٥٩)

[٢] رواه البخاري (٦٠٥٤) ومسلم (٢٥٩١)

[٣] " إعلام الموقعين " (١/٦٦-٦٥)

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: قال المهلب: وغيره: إذا كان الرأي والقياس على أصل من كتاب الله وسنة رسول الله أو إجماع الأمة فهو محمود، وهو الاجتهاد والاستنباط الذي أباحه الله للعلماء، وأما الرأي المذموم والقياس المتكلف المنهى عنه، فهو ما لم يكن على هذه الأصول؛ لأن ذلك ظن ونزع من الشيطان، والدليل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء:٣٦]. (١)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْمَقْصُودُ أَنَّ السَّلَفَ جَمِيعَهُمْ عَلَى ذَمِّ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ الْمُخَالِفِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ الْعَمَلُ بِهِ لَا فُتْيَا وَلَا قَضَاءً، وَأَنَّ الرَّأْيَ الَّذِي لَا يُعْلَمُ مُخَالَفَتُهُ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا مُوَافَقَتُهُ فَغَايَتُهُ أَنْ يَسُوغَ الْعَمَلُ بِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إلْزَامٍ وَلَا إنْكَارٍ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ. (٢)

والرأي المذموم قد ذمه رسول الله ﷺ، وأخبر أن الجهال هم أصحاب الرأي، فقد جاء من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ**». (٣)

---

(١) شرحه للبخاري (١٠/ ٣٥١)

(٢) " إعلام الموقعين " (١/ ٦١)

(٣) رواه البخاري (٧٣٠٧)

والرأي المجرد الذي لا يعتمد فيه على دليل مذموم عند السلف، فقد قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ وَإِيَّاكَ وَآثَارَ الرِّجَالِ -وآراء الرجال- وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ الْقَوْلَ».(١)

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا تَكَادُ تَرَى أَحَدًا نَظَرَ فِي هَذَا الرَّأْيِ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ دَغَلٌ»(٢)

وقال الشَّعْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ وَحَادُوا عَنِ الطَّرِيقِ، فَتَرَكُوا الْآثَارَ وَقَالُوا فِي الدِّينِ بِرَأْيِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(٣)

قوله:« وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم» قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: لا تهتم به، ولا تجعله لك مذهبًا؛ لأنه عرضة للخطأ، وغير مضمون لأصحاب الصواب، ولكن إن كنت تبغي النجاة، والفوز بالدرجات العالية، والنعيم المقيم فاتبع قول رسول الله ﷺ المعصوم من الزلل، والخطأ، والمضمون الإصابة في كل ما بلغه؛ لأنه لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى.(٤)

قوله:« أَزْكَى »أي: أطهر وأصفى وأنقى من جميع أقوال وآراء الناس.

قوله:« وأَشْرَحُ » أي: للقلب وأدعى للطمأنينة، فالإنسان إذا أخذ منهجه من قول رسول الله ﷺ يطمئن قلبه، وينشرح صدره؛ لأنه أخذه من مشكاة النبوة، الذي فيه الهدى والنور.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٧١)

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٥٤)

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٥٤)

(٤) " لوائح الأنوار " (٢/ ٣٦١)

فائدة: **لقد شاع استعمال مصطلح " أهل الرأي" أو " أصحاب الرأي" عند السلف، ولقد اختلف المراد بمصطلح " أهل الرأي" باختلاف العلم الذي يورد فيه، حيث اشتهر إطلاقه في علمي: العقيدة والفقه.**

أما إطلاقه في علم الاعتقاد: فإن المراد بمصطلح " أهل الرأي " هم أهل الكلام المبتدع، ممن قدم عقله ورأيه على نصوص الشرع، ويدخل فيه المعتزلة والأشاعرة ونحوهم.

وسبب الذم لهم ههنا بيّنٌ؛ فإن باب الاعتقاد مبنيٌ على التوقف، وإعمال الرأي فيه إثباتًا ونفيًا بلا نور من الوحي، زيغٌ وضلال، وهل ضل أعداء الرسل إلا لما أعملوا آراءهم في مثل هذه الأبواب، والأصول؟

وهذا ما قصده أبو بكر بن أبي داود فقال: « أهل الرأي هم أهل البدع »، ولذلك حذَّر في هذه القصيدة من أهل الرأي قائلاً:

« وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم..... ... فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وَأَشْرَحُ »

وأما إطلاقه في علوم الفقه من العبادات، والمعاملات، وغيرها، حيث أطلق مصطلح " أهل الرأي " و "أصحاب الرأي " على أتباع المذهب الحنفي، ممن توسع في باب القياس، والحيل؛ حيث قدموا آراءهم على بعض النصوص الثابتة.

والذم لهؤلاء، دون الذم لسابقيهم من أهل الرأي في العقائد؛ لكون أبواب الفقه العلمي يسوغ فيها النظر، والرأي، [١]

---

[١] الأصل فيما ثبت عن النبي ﷺ يعمل به، ولا مجال للرأي فيه، ولو كان في باب الفقه، والله أعلم.

والقياس، مالا يسوغ في العقائد المبنية على النص، والتوقف [١].

[١] انظر الموسوعة العقدية (٣/ ١٣٢٦)

التحذير من القدح في أهل الحديث

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلا تَكُ مِن قوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم... ..... فَتَطْعنَ في أَهَلِ الحَدَيثِ وتَقْدَحُ

قوله:« وَلا تَكُ » أي: احذر أيها السلفي، يا من مَنَّ الله عليك بالمنهج المستقيم، أن تكون « مِن قوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم » أي: اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وهذا يدخل فيه سائر أهل البدع، والعياذ بالله، فأهل البدع يتخذون الدين لهوًا ولعبًا، والله سبحانه قد ذم هذا الصنف، وبين في كتابه أن من اتخذ الدين لهوًا ولعبًا، فمآله إلى النار، والعياذ بالله ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [سورة الأعراف:٥١].

بل حذر ربنا سبحانه نبيه من مجالسة هذا الصنف من الناس فقال: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [سورة الأنعام:٧٠].

قوله:« فَتَطْعنَ في أَهَلِ الحَدَيثِ وتَقْدَحُ » فنتيجة اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا هو الطعن في الحديث، والوقيعة في أهل الأثر، وهذه علامة واضحة في أهل البدع؛ حيث يطعنون في أهل السنة والجماعة؛ لما يحملون من العلم، والثبات على السُّنة.

قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: « علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر ».[١]

قوله:« فِي أَهَلِ الحَدَيثِ» أهل الحديث: هم الذين اعتمدوا ما صح من حديث رسول الله ﷺ، بالإضافة إلى كتاب الله تعالى، مصدرًا من مصادر التلقي، واهتموا به رواية، ودراية، وعملاً بمقتضاه.[٢]

وأهل الحديث هم أهل السنة والجماعة، كما قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ عن الطائفة المنصورة: « إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري منهم ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف.[٣]

قوله:« وتَقْدَحُ »أي: تعيب، يقال: قدح في الشيء أي: عابه.

وما أكثر القدح في أهل الحديث في زماننا هذا، خاصةً مع كثرة الأحزاب، يطعنون في العلماء، ويقللون من شأنهم، فإلى الله المشتكى، وهذه علامة واضحة في أهل البدع، والحزبيات.

والواجب من العبد المسلم أن يحب أهل الحديث، ويدعو لهم، ويترضى عنهم، فهم الذين تحملوا الأتعاب، والمشاق، في سبيل وصول هذا الدين إلينا، فجزاهم الله عنا وعن المسلمين خيرًا.

---

[١] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٩٧)

[٢] موسوعة العقيدة (١/٤٢٣)

[٣] كما في مجموع الفتاوى (٦/٣٥٥)

ولنا الأسوة الحسنة في صحابة رسول الله ﷺ، وكيف كانوا يحبون حملة العلم، ونقلة الحديث، فقد جاء من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: « **وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا**». قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: « **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: « **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ أَنَسٌ: « فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ». [١]

[١] رواه البخاري (٣٦٨٨) بهذا اللفظ

الحث على اعتقاد العقيدة الصحيحة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

« إذا مَا اعتقدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِه .....فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ »

قوله: « إذا مَا اعتقدْتَ »

الاعتقاد: مأخوذ من العقد، وهو نقيض الحل، يقال: عَقَدَه يَعْقِدُه عقدًا إذا ربطه بقوة، ومنه الإحكام، والإبرام، والتوثيق، ومنه عقد اليمين.(١)

والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وهذه العقيدة لا بد لها من ربط في القلب بقوة، وإحكام، حتى لا تنفك.

فإذا اعتقدت أيها المسلم هذه العقيدة، الصافية، السليمة، المأخوذة من الكتاب والسنة، على فهم سلف الأمة، وقيدتها بقلبك، بقوة وإحكام، واعتقدتها اعتقادًا جازمًا لا شك فيه ولا ريب، فأنت على الخير والهدى.

قوله:« الدَّهْرَ » أي: مدة دوامك، ومدة عمرك، وأنت على هذه العقيدة الصافية، النقية، حتى الموت عليها؛ لأن الأعمال بالخواتيم، فكم ممن كان ينسب للإسلام، وأهل السنة، ويدافع عنها، ثم انتكس-والعياذ بالله -وصار على عقيدة باطلة، نسأل اللهَ حسن الخاتمة.

قوله:« يا صَاحِ » هذا يُسمى ترخيم، وأصلها يا صاحبي، وهذا الترخيم شاذ؛ لأن الأصل في الترخيم يكون في الأعلام، كما قال النبي ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « **يَا عَائِشَ،**

---

(١) " لسان العرب " (٣/٢٩٦) و" مقاييس اللغة " (٤/٨٦)

هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ»[١]

وأما الترخيم بالجنس يعد شاذًا، لكن سمع من العرب أنهم رخموه، ومنه قول الشاعر:

صاحِ شمِّرْ ولا تَزَلْ ذاكِرَ الـــ مَوْتِ فَنِسْيانُهُ ضَلالٌ مُبِينُ

أي: يا صاحبي.

وهذا يُعد من حسن العبارات التي تكلم بها الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو التودد، وحسن النصح للعبد، فجزاه الله خيرًا.

قوله: « هذِه » إشارة إلى الأصول العظيمة المذكورة في هذه العقيدة، الحائية، وهي أصول سلفية، مبنية على الكتاب والسنة، على فهم سلف الأمة، فيا لسعادة من أخذ بها، ويا خيبة من أعرض عنها.

قوله:« فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ» كيف لا يكون على خير؟ وقد تمسك بها، وعضَّ عليها بنواجذه، يوم أن فرَّط الناسُ بعقيدتهم -والعياذ بالله-، فوالله إنه في خير عظيم، ما دام على هذا المعتقد، الصافي، العذب، الذي ليس فيه لبس ولا غشش.

قوله:« تَبِيتُ وتُصْبِحُ » أي: ما دمتَ في المساء والصباح، وفي ليلك ونهارك، على هذه العقيدة، تبيت عليها، وتصبح متمسك بها، فأنت على خير عظيم، فاسألْ من الله الثبات على هذه العقيدة حتى الممات، وإياك والتلون فإنَّ دين الله واحد.

[١] رواه البخاري (٣٧٦٨) ومسلم (٢٤٤٧)

هذا ما يسره الله ﷻ لي في شرح هذه القصيدة الحائية،

وأسأل من الله ﷻ أن يجعل عملي صالحًا، وله خالصًا،

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على

نبينا محمد، وعلى آله

وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

تقديم فضيلة الشيخ عبد الرزاق النهمي ٢
تقديم فضيلة الشيخ عبد الرحمن الشميري ٣
مقدمة ٤
كلمةُ شُكْر ٦
تنبيـــــه ٧
نصُّ المنظومة ٩
ترجمة الناظم ١١
الحث على التمسك بالكتاب والسنة ١٦
فائدة: تطلق الهدى في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، على أمرين: ٢٠
خلاصة البيت: ٢٣
الحث على التدين بالكتاب والسنة ٢٤
القرآنيون: ٢٥
الرد على الطائفة القرآنية ٢٦
كلام الله غير مخلوق ٢٧
فائدة: ضابط إضافة الصفة إلى الموصوف: ٢٨
وضابط إضافة المخلوق إلى الخالق: ٢٨
خلاصة البيت: ٣١
قول أهل السنة والجماعة في القرآن ٣٢
المعتزلة ٣٣
الجهمية ٣٤
الكُلَّابية، والأشاعرة ٣٥
قول الكلابية، والأشاعرة، في كلام الله ٣٦
الكُرامية ٣٦
التحذير من الواقفة ٣٧
التحذير من اللفظية ٤٠
خلاصة هذه الأبيات الثلاث: ٤١
إثبات الرؤية لله سبحانه ٤٢
بعض المسائل المتعلقة في باب الرؤية ٤٥
نَفْي الشَّبَهِ عن الله سبحانه ٤٨
إنكار الجهمية للرؤية ٥٠

مسائل متعلقة بهذا الباب ٥٢
إثبات اليد لله سبحانه وإنكار الجهمية لها ٥٤
المسائل المتعلقة بالباب ٥٦
صفـــة النـــــزول ٦١
صحة أحاديث النـــــــزول ٦٩
مذهب المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة النزول ٧٠
فضل الخلفاء الراشدين ٧٢
فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٧٤
ذِكْرُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٧٧
ذِكْرُ عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه ٨٠
ذِكْرُ عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه ٨٣
فضل العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم ٨٦
بقية العشرة المبشرين بالجنة ٨٩
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه ٨٩
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٩١
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ٩٤
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ٩٦
أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ٩٩
الزبير بن العوام رضي الله عنه ١٠٠
فضل الصحابة رضي الله عنهم ١٠٤
الإيمان بالقدر ١١٣
مسألة: ما الفرق بين القضاء والقدر؟ ١١٤
مسألة مهمة: وهي: (أنَّ الأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر). ١٢٠
معتقد أهل السنة والجماعة في القدر ١٢٢
الطوائف المخالفة لأهل السنة في باب القدر ١٢٣
فائـــدة: أول من أحدث الكلام في القدر. ١٢٤
أول من أظهر القول بالجبر. ١٢٧

الحث على الإيمان باليوم الآخر ١٢٨
سبب تسمية منكر ونكير بهذا الاسم ١٢٩
إثبات الحوض ١٣١
مسائل متعلقة في باب الحوض ١٣٧
وجوب الإيمان بالميزان ١٣٩
مسائل متعلقة بالميزان ١٤٢
خروج العصاة الموحدين من النار بفضل الله ١٤٨
شفاعة النبي ﷺ ١٥١
إثبات عذاب القبر ١٦١
بعض المسائل المتعلقة بهذا الباب ١٦٥
بيان حال العصاة من أهل التوحيد ١٦٨
صفات العرش ١٧٠
الرد على الخوارج في تكفير صاحب الكبيرة ١٧٢
بيان حال المرجئة ١٧٦
فصلٌ: في الإيمان ١٨٠
فصلٌ في ذم الآراء المخالفة للكتاب والسنة ١٨٥
فائدة: في استعمال مصطلح " أهل الرأي" أو " أصحاب الرأي" عند السلف، ١٨٨
التحذير من القدح في أهل الحديث ١٩٠
الحث على اعتقاد العقيدة الصحيحة ١٩٣
فهرس الموضوعات ١٩٦